إلى الفلاحين الفقراء



لينين

إلى
الفلاحين الفقراء

لينيـــن

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

فهرس

(١) نضال عمال المدن

كثيرون هم الفلاحون الذين سمعوا، بلا ريب، بالاضطرابات العمالية في المدن. فإن فريقا من هؤلاء الفلاحين كان في العاصمتين[١] والمصانع، ورأى بنفسه أعمال الشغب، كما يسميها البوليس، وفريق آخر منهم يعرف العمال الذين نفتهم السلطات إلى القرى لاشتراكهم في الاضطرابات، وفريق ثالث أتيحت له الفرصة أن يرى المناشير والكراريس حول نضال العمال، وفريق رابع سمع فقط أخبار الناس المطلعين على ما يحدث في المدن.

فيما مضى، كان الطلاب وحدهم يثورون: أما الآن، فإن الآلاف وعشرات الآلاف من العمال قد ثاروا في جميع المدن الهامة. وهم يناضلون في معظم الأحيان ضد أرباب عملهم، ضد أصحاب المصانع، الرأسماليين. ويلجأ العمال إلى الاضراب، ويتركون جميعهم في آن واحد العمل في المصنع ويطالبون بزيادات في الأجور؛ ويطالبون بعدم تشغيلهم في اليوم إحدى عشرة ساعة أو عشر ساعات، بل بتشغيلهم

---

[١] أي في موسكو وبطرسبورغ.

ثماني ساعات فقط. ويطـالبون أيضـا بجميـع التحسـينات الأخرى في حياة العامل. وهم يريدون أن يصار إلى تحسين الأوضاع في مشاغلهم، وأن يصار إلى إحاطة الآلات بأجهزة خاصة للوقاية، وألا تشوه الآلات العمـال الـذين يشـتغلون عليها، وأن يتمكن أولادهم من الذهاب إلـى المدرسـة، وأن يلقى المرضى العناية اللائقة في المستشـفيات، وأن تكـون مساكن العمال بيوتا لائقة، لا أكواخا للكلاب.

ويتدخل البوليس في نضال العمال. فيلقي القـبض علـى العمال. ويزج بهم في السجن. ويبعدهم دون محاكمـة إلـى مسقط رأسهم بل أنه ينفيهم دون محاكمة إلى سيبيريا. وثمـة قانون اصدرته الحكومة يمنـع الاضـرابات والاجتماعـات العمالية. ولكن العمال يخوضون النضـال ضـد البـوليس والحكومة، ويقولون: كفانا خنوعا وركوعا، نحـن، شـعب العمال الذين نعد الملايين من البشر! كفانا شغلا في صـالح الاغنياء، بينما نظل نحن في بؤس مدقع! لقد استسلمنا كفايـة للنهب والسلب! نريد تأليف اتحادات، نريد حشد جميع العمال في اتحاد عمالي كبير موحد (هو حـزب العمـال)، نريـد النضال معا في سبيل حياة افضل. نريد النضال فـي سـبيل

تنظيم جديد، افضل، للمجتمع: وفي هـذا المجتمـع الجديـد الافضل، ينبغي الا يكون ثمة اغنياء وفقراء، انما ينبغـي ان يشترك الجميع في العمل. ينبغي ان يتمتع جميـع الشـغيلة بثمرات العمل المشترك، لا حفنة من الأثرياء فقط. ينبغي أن تسهل الآلات وسائر الاتقانات كـدح الجميـع، لا أن تغنـي البعض على حساب الملايين وعشرات الملايين من النـاس. هذا المجتمع الجديد، هذا المجتمع الافضل، يسمى المجتمـع الاشتراكى. والمذهب الذى ينادي بـه يسـمى الاشـتراكية. واتحادات العمال التى تناضل في سبيل هذا التنظيم الافضـل للمجتمع تسمى الأحزاب الاشتراكية-الديموقراطيـة. وهـذه الأحزاب موجودة علنا في جميع البلدان تقريبا (عدا روسـيا وتركيا)، كما ان عمالنا بالاتفاق مع الاشتراكيين من النـاس المتعلمين، قد شكلوا أيضا حزبا كهذا هـو حـزب العمـال الاشتراكي-الديموقراطي الروسي.

اما الحكومة فهي تضطهد هذا الحزب، ولكنـه موجـود سرا، رغم جميع قرارات المنع، وهـو يصـدر الصـحف والكراريس، ويشكل الاتحادات السرية. ولا يكتفـى العمـال بالاحتشاد في اجتماعات سرية، بل ينزلون إلـى الشـارع، جماهير جماهير ويرفعون الرايات المكتوب عليهـا: "عـاش يوم العمل من ثماني سـاعات، عاشـت الحريـة، عاشـت الاشتراكية!". ولهذا تلاحق الحكومة العمال بوحشية، بل انها ترسل الجيش ليطلق النار عليهم. لقد قتل الجنـود الـروس عمالا روسـا فـي ياروسـلافل، وبطرسـبورغ، وريغـا، وروستوف على الدون، وزلاتووست.

ولكن العمال لا يستسـلمون بـل يواصـلون النضـال. ويقولون: ليس ثمة اضطهادات ولا سـجون، ولا نفـي، ولا اعتقال مع الاشغال الشاقة، ولا موت، بوسعها ان ترهبنا. ان قضيتنا عادلة. فنحن نكافح في سبيل حرية وسـعادة جميـع الذين يكدحون. نحن نكافح في سبيل التخلص مـن مظـاهر العنف والاضطهاد والبؤس، النازلة عشرات ومئات الملايين. والعمال يزدادون وعيا يوما بعد يوم. وعدد الاشـتراكيين-الديموقراطيين يتعاظم بسرعة في جميع البلـدان. ولسـوف ننتصر بالرغم من كل قمع واضطهاد.

ينبغى أن يدرك الفلاحون الفقراء جيد الإدراك مـن هـم هؤلاء الاشتراكيون-الديموقراطيون، وماذا يريـدون، ومـا ينبغى القيام به في القرى من أجل مسـاعدتهم فـي الظفـر بالسعادة للشعب.

(٢) ماذا يريد
الاشتراكيون - الديموقراطيون؟

يناضل الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس بادئ بدء في سبيل الحرية السياسية. فهذه الحرية ضرورية لهـم لحشـد جميع العمال الروس، على نطاق واسع وبصورة علنية، في النضال من أجل تنظيم المجتمع تنظيما جديدا، تنظيما أفضل، تنظيما اشتراكيا.

ما هي الحرية السياسية؟

لكى يدرك الفلاح هذا الأمر، ينبغي لـه أن يقـارن أولا حريته اليوم بنظام القنانة (الاقطاعية). في ذلك العهد، لم يكن يحق للفلاح أن يتزوج دون إذن الملاك العقاري، أمـا الآن فالفلاح حر بأن يتزوج دون أي إذن. في ذلك العهـد، كـان الفلاح ملزما بالعمل بصورة مطلقة لحساب سيده في الأيـام التي يعينها وكيل السيد. أما الآن، فالفلاح حـر بـأن يقـرر لحساب أي سيد يشتغل وفي أية أيام ولقاء أي أجر. في ذلك العهد، لم يكن يحق للفلاح أن يترك القرية دون إذن السـيد.

أما الآن، فالفلاح حر بالذهاب حيث يشاء، إذا سـمحت لـه المشاعة بالذهاب، إذا لم يكن يترتب عليـه دفـع ضـرائب متأخرة، إذا أعطى تذكرة هوية، إذا لم يمنعه الحاكم أو مدير البوليس في القضاء(*) من التنقل. ولذا لا يتمتع الفلاح اليـوم أيضا بكامل حرية الذهاب حيث يشاء، بكامل حرية التنقـل؛ فما يزال الآن نصف قن. وسنقول فيما بعد بالتفصيل لماذا لا يزال الفلاح الروسي نصف قن وكيف يستطيع التخلص مـن هذا الوضع. في عهد القنانة، لم يكن يحق للفلاح أن يحصـل على أية ممتلكات دون إذن السيد ولم يكن يحق له أن يشتري الأرض. أما الآن، فالفلاح حر بالحصول على شتى أنـواع الممتلكات (غير أنه ليس حرا اليوم تمام الحرية، بأن يتـرك المشاعة وبأن يتصرف بأرضه كما يشاء). في عهد القنانـة، كان بوسع الملاك العقاري إنزال العقوبات الجسدية بالفلاح. أما الآن، فلم يعد بوسع المـلاك العقـاري إنـزال العقـاب الجسدى بالفلاح، رغم أن الفلاح لم يتحرر حتـى الآن مـن العقوبات الجسدية.

(*) بمعنى التقسيم الاداري. المعرب.

هذه الحرية هي التي تسمى الحرية المدنية، الحرية في حقل الشؤون العائلية، في حقل الشؤون الشخصية، في حقل الشؤون المتعلقة بالممتلكات. فالفلاح والعامل حران (صحيح أن حريتهما غير تامة) بأن ينظما حياتهما العائلية وشؤونهما الشخصية، وبأن يتصرفا بعملهما (بأن يختارا سيدا لهما) وبممتلكاتهما.

ولكن، لا العمال الروس ولا الشعب الروسي كله، يتمتعون حتى الآن بحرية التصرف بالشؤون المشتركة التي تخص الشعب بأسره. فالشعب بأسره، بمجمله، لا يزال قنا للموظفين، كما كان الفلاحون أقنانا للملاكين العقاريين. فلا يحق للشعب الروسي أن يختار موظفية، ولا أن ينتخب الناس الذين يثق بهم من أجل تحضير القوانين لعموم الدولة. بل إنه لا يحق للشعب الروسي التجمع لمناقشة الشؤون العامة، شؤون الدولة. وبدون إذن الموظفين الموضوعين فوقنا دون رضانا – كما كان السيد في الزمن الغابر يعين الوكيل دون موافقة الفلاحين، – لا يحق لنا حتى طبع صحفنا وكتبنا، والتكلم أمام الجميع وللجميع عن الشؤون التي تتعلق بالدولة كلها!

وكما أن الفلاحين كانوا عبيدا للملاكين، كذلك ما يزال الشعب الروسي حتى الآن عبد الموظفين. وكما أن الفلاحين كانوا في عهد القنانة (الاقطاعية) محرومين من الحرية المدنية، كذلك ما يزال الشعب الروسي محروما من الحرية السياسية حتى الآن. إن الحرية السياسية، إنما هي حرية الشعب بتصريف شؤونه المشتركة، الشؤون العامة. إن الحرية السياسية، إنما هي حق الشعب بانتخاب نوابه إلى دوما الدولة (البرلمان). إن دوما الدولة هذه (البرلمان) التي ينتخبها الشعب بنفسه، هي التي ينبغي لها وحدها أن تناقش وتسن جميع القوانين، وأن تقر جميع الضرائب والرسوم. إن الحرية السياسية، إنما هي حق الشعب في أن يختار بنفسه جميع الموظفين، وأن ينظم شتى انواع الاجتماعات لمناقشة جميع الشؤون العامة، وأن يطبع، دون أي إذن، ما يشاءه من الكتب والصحف.

إن جميع الشعوب الأوروبية الأخرى قد ظفرت منذ زمن طويل بالحرية السياسية. في تركيا فقط وفي روسيا، ما يزال الشعب، سياسيا، قنا لحكومة السـلطان ولحكومـة القيصـر الاوتوقراطية. إن الاوتوقراطية القيصرية، إنما هي سـلطة القيصر التي لا حد لها. فلا يأخذ الشعب أي قسط في تنظـيم الدولة وإدارتها. فالقيصر وحده، بحكم سـلطته الشخصـية، غير المحدودة، الاوتوقراطية هو الذي يسن جميع القـوانين، ويعين جميع الموظفين. ولكنه واضح أن القيصـر نفسـه لا يمكن له حتى أن يعرف جميع القـوانين الروسـية وجميـع الموظفين الروس. بل إنه لا يستطيع أن يعرف ما يجرى في الدولة؟ إنه يكتفي بالمصادقة على مشيئة عدة عشرات مـن كبار الموظفين واعلاهم مقاما. إن شخصا واحدا، مهما كانت رغبته شديدة، ليعجز عن حكم دولة شاسعة كروسيا. فلـيس القيصر هو الذي يحكم روسيا – ومع ذلك لا يسع المـرء الا التحدث عن اوتوقرطية رجل واحد! – بل تحكم روسيا حفنة من أكبر الموظفين ثراء وجاها. ولا يعرف القيصر إلا مـا تشاء هذه الحفنة من الموظفين أن تبلغه إيـاه. ولا يسـتطيع القيصر أبدا معارضة هذه الحفنة من كبار ممثلـي النـبلاء:

فالقيصر نفسه ملاك عقاري ونبيل؛ وهو، منذ طفولتـه، لـم يعش إلا في وسط هؤلاء النبلاء؛ فهم الذين ربوه وعلمـوه؛ أما الشعب الروسي بأسره، فإن القيصر لا يعرف عنه أكثـر مما يعرف هؤلاء النبلاء الكبار، والملاكون الأغنياء، والقلـة من التجار الأغنياء الذين يحق لهم دخول القصر.

بوسعكم أن تجدوا في كل دائرة في النواحي، اللوحة التالية: اللوحة تمثل القيصر (والد القيصر الحالي: الكسندر الثالـث). القيصر يلقي خطابا أمام رؤساء بلديات النـواحي، القـادمين لحضور تتويجه. القيصـر يـأمرهم: "أطيعـوا مارشـالات النبلاء!"[٢] وقد كرر قيصر اليوم نيقولاي الثاني الكلام نفسـه، فالقياصرة يعترفون إذن بأنهم لا يستطيعون حكـم الدولـة إلا بمساعدة النبلاء، بوساطة النبلاء. ينبغي لنا أن نحفـظ جيـدا كلمات القيصر هذه حول طاعة الفلاحين للنبلاء. ينبغي لنا أن ندرك تمام الإدراك كذب ما يقوله للشعب هؤلاء القوم الـذين

---

[٢] مارشالات النبلاء: هم من النبلاء الذين كان ينتخبهم اقـرانهم فـي اجتماعات النبلاء في الاقضية والمحافظات في روسيا القيصـرية. وكان مارشالات النبلاء يصرفون شؤون النبلاء وشغلوا مكانا هاما في الادارة وكانوا يترأسون اجتماعات الزيمستفوات.

يسعون جهدهم لتصوير الإدارة القيصرية على أنها خير إدارة. يقول هؤلاء القوم: في البلدان الأخرى، تنتخب الإدارة انتخابا، فيختار لها الأغنيـاء؛ والحـال، أن الأغنيـاء يـديرون دون انصاف. فهم يضطهدون الفقراء. أما في روسيا، فلا يصـار إلى انتخاب الادارة؛ فإن القيصر الاوتوقراطي هو الذي يحكم كل شئ. فالقيصر فوق جميع الناس، الفقراء منهم والاغنيـاء. والقيصر، كما يزعم هاؤلاء القوم، منصف ازاء الجميع، ازاء الفقراء والاغنياء، دون اي تمييز.

ان مثل هذه الاقاويل رياء برياء. فكل روسي يعرف مـا هو عليه انصاف الادارة في بلادنا. وكل امرئ يعـرف اذا كان العامل البسيط أو الاجير الزراعى في بلادنا يستطيع ان يكون عضوا في مجلس الدولة. بينما رأينا في جميع البلـدان الاوروبية الاخرى عددا من عمال المصانع ومـن الاجـراء الزراعيين اعضاء في دومات الدولة (البرلمانـات): كـانوا يتكلمون بحرية امام الشعب كله عن بؤس العمـال، وكـانوا يدعون العمال إلى الاتحاد والنضال من اجل حيـاة افضـل. وما كان احد ليجرؤ على مقاطعة نواب الشعب عنـد القـاء خطاباتهم هذه، وما كان أي فرد من أفراد البوليس ليتجاسـر على مسهم باصبعه.

ليس في روسيا ادارة منتخبة، فالـذين يـديرون ليسـوا الاغنياء والنبلاء وحسب بل شرهم، اي امهـرهم نمـا فـي القصر، وابرع من يحوكون المقالب، ويكذبون ويفترون لدى القيصر، ويتزلفون ويداهنون. انهم يديرون سرا، ولا يعرف الشعب ولا يستطيع ان يعرف اية قوانين يهيئونها له، وايـة حروب يستعدون لشنها، واية ضرائب جديدة سـيقرون، واي موظفين سيكافئون ولماذا، واي موظفين سيقيلون ولماذا. وما من بلد كروسيا يعرف مثل هذا العدد اللجب من الموظفـون ينتصبون فوق الشعب الصامت، كغابة قاتمة، - فان العامـل البسيط لن يتوصل ابدا إلى شق طريق له في هذه الغابة ولا الحصول على العدالة. وما مـن شـكوى ضـد المـوظفين المرتشين، والناهبين، والظالمين، ترى النور : فكل شـكوى تذهب عبثا، بسبب من المماطلات البيروقراطية (الدواوينية).

وصوت رجل بمفرده لا يبلغ ابدا مسامع الشعب كله، بـل يضيع في هذا الدغل الكثيف القـاتم، ويختنـق فـي اقبيـة البوليس. ان جيش الموظفين الذين لم ينتخبهم الشعب والذين ليسوا مسؤولين امامه، قد حاك شبكة كثيفة يتخبط فيها الناس كالذباب.

ان الاوتوقراطية القيصرية، انما هي اوتوقراطية الموظفين، انما هي تبعية الشعب القنية ازاء الموظفين ولا سيما البوليس. ان الاوتوقراطية القيصرية، انما هي اوتوقراطية البوليس.

ولهذا ينزل العمال إلى الشارع ويخطون على راياتهم: "لتسقط الاوتوقراطية!"، "عاشت الحرية السياسية!". ولهذا ينبغى على عشرات الملايين من الفلاحين الفقراء أيضا ان يرددوا هتاف عمال المدن النضالى هذا. وعلى غرار عمال المدن، ينبغى على عمال الارياف والفلاحين الفقراء غير المالكين، دون خشية من اعمال القمع، دون خوف من اعمال التهديد والعنف من جانب العدو، دون الاضطراب لدى اول هزيمة، ينبغى عليهم القيام بنضال حاسم في سبيل حرية الشعب الروسي بأسره؛ المطالبة قبل كل شيء بدعوة ممثلى الشعب إلى الاجتماع. فليختر الشعب بنفسه نوابه في عموم روسيا. ليؤلف هؤلاء النواب جمعية عليا تؤسس ادارة منتخبة في روسيا، وتحرر الشعب من التبعية القنية ازاء الموظفين والبوليس، وتؤمن للشعب حرية الاجتماعات وحرية الكلام والصحافة!

هذه ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون قبل كل شـيء وهذا ما يعنيه مطلبهم الاول: مطلب الحرية السياسية.

اننا نعلم ان الحرية السياسية، حرية الانتخاب لدوما الدولة (البرلمان)، حرية الاجتماعات، حرية الصحافة، لـن تنقـذ الشعب الشغيل، دفعة واحدة، من البؤس والظلم. وليس ثمـة وسيلة بوسعها ان تنقذ، دفعة واحدة، فقراء المدن والاريـاف من عملهم في صالح الاغنياء. وليس امام الشعب العامل أي امرئ يعلق عليه أمله او يعتمد عليه، الا نفسه بالذات. ومـا من احد سيحرر العامل من بؤسه، اذ لم يفعل ذلـك بنفسـه. ولكى يتحرر العمال، عليهم ان ينضموا في اتحاد واحد، فـي حزب واحد، من طرف البلاد إلى الطرف الآخر، في عموم روسيا. ولكن ملايين العمال لا يستطيعون الاتحاد اذا كانـت الحكومة البوليسية الاوتوقراطية تمنـع كـل الاجتماعـات، وجميع صحف العمال، وجميع انتخابات نواب العمال. لكـى يتحد الناس، ينبغى لهم حق تنظيم شتى انـواع الاتحـادات، تنبغى حرية الاتحاد، تنبغى الحرية السياسية.

ان الحرية السياسية لن تنقذ الشعب العامل مـن البـؤس دفعة واحدة، ولكنها ستعطى العمال سـلاحا للنضـال ضـد البؤس. وليس ثمة ولا يمكن ان يكون ثمـة وسـيلة اخـرى للنضال ضد البؤس، غير اتحاد العمال انفسهم. ولن يستطيع الملايين من ابناء الشعب ان يتحدوا اذا لم تتوافر لهم الحرية السياسية.

فى جميع بلدان اوروبا التي ظفر فيها الشـعب بالحريـة السياسية، اخذ العمال يتحدون منذ زمن طويل. والعمال الذين لا أرض عندهم ولا مشاغل والذين يشتغلون طوال حيـاتهم أجراء عند الآخرين، - ان هؤلاء العمال يسمونهم في كـل اوروبا بروليتاريين. فمنذ اكثر من خمسين سنة، دوى نـداء يدعو إلى اتحاد الشعب العامل : " يا عمال العالم، اتحدوا! ". ان هذه الكلمات قد طافت العالم كله خلال الخمسـين سـنة الاخيرة وهى تعاد في عشرات ومئات الآلاف من اجتماعات العمال؛ وانكم لتقرؤونها فـي ملايـين الكتـب والصـحف الاشتراكية – الديموقراطية بجميع اللغات. ان حشد ملايـين العمال في اتحاد واحد، في حزب واحد، هو، بالطبع، عمـل صعب جدا، جدا، ويطلب فترة من الزمن، وقدرا من المثابرة

والعناد والشجاعة. واننا لنرى العمال تسـحقهم الحرمانـات ويحطمهم البؤس، ويغلظ عقولهم العمـل الـدائب، القاسـي كالاشغال الشاقة، في صالح الرأسماليين والملاكين العقاريين، وفى كثير من الاحيان، لا يتوفر لهم الوقت ليتساءلوا لماذا هم ابدا غارقون في لجة البؤس، وكيف الخروج منها. وبجميـع الوسائل يمنعون العمال من الاتحاد : امـا انهـم يمارسـون مباشرة اعمالا عنيفة وحشية في بلدان كروسيا حيث الحريـة السياسية معدومة واما انهم يرفضون تشغيل العمـال الـذين يروجون مذهب الاشتراكية، واما انهم يلجؤون اخيـرا إلـى الكذب والرشوة. ولكن ما من عنـف ولا قمـع بوسـهما ان يحملا العمال البروليتاريين على الكف عن النضال من اجل القضية الكبرى، قضية تحرير الشعب العامـل بأسـره مـن البؤس والظلم.

ان عدد العمال الاشتراكيين – الديموقراطيين يتعاظم بـلا انقطاع.

ففى الدولة المجاورة، مثلا، في المانيا، توجد ادارة منتخبة. فيما مضى، كانت في المانيا أيضا حكومة ملكية اوتوقراطيـة مطلقة. ولكن الشعب الالماني هب، منذ زمن بعيد، منذ اكثـر من خمسين سنة وحطم الاوتوقراطية وظفر بالحرية السياسية بالقوة. فالقوانين في المانيا لا تسنها حفنة من الموظفين كما في روسيا، بل تسـنها جمعيـة نـواب الشـعب، البرلمـان، او الريخستاغ، كما يسميها الالمان. وجميع الرجـال الراشـدين ينتخبون نواب الريخستاغ. ولذا يمكن معرفة عدد الاصـوات التي نالها الاشتراكيون-الديموقراطيون. ففـى ١٨٨٧، نـالوا عشر الاصوات كلها. وفى ١٨٩٨ (لدن الانتخابات الاخيـرة للريخستاغ)، ازداد عدد اصوات الاشتراكيين-الـديموقراطيين ما يقرب من ثلاثة اضعاف. وهكـذا، نـال الاشـتراكيون-الديموقراطيون اكثر من ربع الاصوات كلها. فقد صوت اكثر من مليونى رجل راشد لنوابهم الاشتراكيين-الديموقراطيين في البرلمان. غير ان الاشتراكية ما تزال قليلة الانتشار بين عمال الارياف في المانيا، ولكنها تخطو في الوقت الحاضر خطوات سريعة جدا. وعندما ينضـم سـواد الأجـراء الـزراعيين، والمياومين، والفلاحين الفقراء، المعدمين، إلى اخـوانهم فـي المدن، فان العمال الالمان سينتصـرون ويقيمـون نظامـا لا يعرف فيه الشغيلة لا البؤس ولا الظلم.

ولكن كيف يريد العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون انقاذ الشعب من البؤس؟

لكي نعرف ذلك، ينبغى ان ندرك جيـد الادراك مصـدر بؤس الجماهير الغفيرة في ظل النظام الاجتمـاعى الحـالى. فالمدن الغنية تتكاثر وتتعاظم، ويصار إلى تشـييد المخـازن والمبانى الفخمة، والى مد الخطوط الحديدية، والى اسـتعمال شتى انواع الآلات والتحسينات في الصناعة كما في الزراعة، بينما لا يزال ملايين الناس يتخبطـون فـي لجـة البـؤس، ويكدحون طوال حياتهم لمجرد اعالة اسرهم. بل ثمة اكثر من ذلك : فان عدد العاطلين عن العمل يتزايد بلا انقطاع.

وفى الارياف والمدن يزداد على الدوام عـدد الـذين لا يستطيعون ايجاد اي عمل. ففى الارياف، يتضورون جوعا، وفى المدن، يضخمون فرق الصعاليك وطوابير الحفاة؛ وهم يندسون كالحيوانات في اقبيـة الضـواحى أو فـي اكـواخ وحجيرات زرية كما هي عليه مثلا الاكواخ والحجيرات في حى خيتروف رينوك بموسكو.

كيف يمكن ذلك؟ الثروات ومظاهر البذخ تتكـاثر علـى الدوام، بينما الملايين والملايين من الناس الذين يخلقون كـل هذه الثروات بكدحهم، يظلون مـع ذلـك فقـراء وتعسـاء؟ الفلاحون يحصدهم الجوع والعمال يهيمون بلا عمل، بينمـا يشحن التجار من روسيا إلى الخارج ملايين البودات (البـود يساوى ١٦، ٣٦٠ كيلوا غراما. المعـرب) مـن الحبـوب، وبينما المصانع والمعامل متوقفة عن العمل لأنه لا يعـرف إلى اين ترسل البضائع، بالنظر لانعدام اسواق التصريف؟

سبب ذلك اولا ان قسما كبيرا جدا من الارض، وكـذلك المصانع، والمعامل، والمشاغل، والآلات، والابنية، والسفن، هي ملك عدد صغير من الاغنياء. وهذه الاراضـي، وهـذه المصانع والمشاغل، حيث يشتغل عشـرات الملايـين مـن الناس، تخص عـدة آلاف او عـدة عشـرات الآلاف مـن الاغنياء، من ملاكين عقاريين وتجـار وصـناعيين. وعنـد هؤلاء الاغنياء يشتغل الشعب اجيرا، لقاء اجر، لقاء كسـرة من الخبز. وكل ما يصنع علاوة على بـدل اعالـة العمـال البائس، انما يذهب لاملاء جيوب الاغنياء؛ ذلك هو ربحهـم، تلك هي " ايراداتهم ". وكل الفوائـد الناجمـة عـن الآلات

والتحسينات في العمل هي في مصلحة الملاكـين العقـاريين والرأسماليين : فهم يكدسون ثروات باهظـة، بينمـا الـذين يشتغلون لا يتلقون من هذه الثروات سوى فتات بائسـة. ان العمال يجتمعون من اجل العمل : فان الاستثمارات الزراعية الكبيرة والمصانع الكبيرة تضم المئات من العمـال واحيانـا الألوف. وبفضل هذا العمل المشترك، وبفضل استخدام شتى انواع الآلات، تغدوا النتيجة أوفر : فان عاملا واحـدا ينـتج أكثر بكثير مما كان ينتجه عشرات العمـال الـذين كـانوا يشتغلون فيما مضى بصورة منفردة ودون اية آلة. ولكن هذه النتيجة، ولكن انتاجية العمل هذه، لا تفيد جميع الشغيلة، انما تفيد فقط عددا ضئيلا من كبار ملاكي الاراضي ومن التجار والصناعيين.

غالبا ما نسمع ان الملاكين العقاريين والتجار "يعطـون" الشعب "عملا"، "يعطون" الفقراء موردا للرزق. يقال، مـثلا، ان فلاحي تلك المحلة "يعتاشون" من المصنع المجاور او من الاستثمارة الزراعية المجاورة. غير ان العمال هم الذين، في الواقع، يعتاشون من عملهـم ويعيشـون جميـع الـذين لا يشتغلون. ولكن لقاء الاذن بالعمل في ارض السـيد او فـي

المصنع او في السكة الحديدية، يعطى العامل مجانا المالـك كل ما يصنع، بينا لا يتلقى هو سوى اجر زهيد. وهكذا نرى في الواقع ان ليس الملاكون العقاريون ولا التجار هم الـذين يعطون العمال عملا؛ انما هم العمال الذين يعيلـون بعملهـم الجميع، مقدمين مجانا قسما كبيرا من كدحهم.

لنتابع. ان بؤس الشـعب النـاجم، فـي جميـع الـدول المعاصرة، عن كون الشغيلة يصنعون جميع انواع السلع من اجل البيع في السوق. فان الصـناعي والحرفـي، والمـلاك العقاري والفلاح الميسور، يصنعون هذه السـلعة او تلـك، ويربون المواشي، ويزرعون الحبوب ويحصدونها من اجـل البيع، من اجل كسب المال. وغدا المال الآن في كل مكـان القوة الرئيسية، فجميع منتجات الكدح البشرى عرضة للمبادلة لقاء المال. وبالمال، يمكن شراء كل ما يراد، بل يمكن شراء كائن بشرى بالمال، اي الزام رجل فقير على العمـل لمـن يملك المال. فيما مضى كانت الارض القوة الرئيسية؛ كـان ذلك في عهد الاقطاعية؛ كان مالك الارض يملك أيضا القوة والسلطة. اما الآن فان المال، والرأسمال، هو الذي غدا القوة الرئيسية. بالمال يمكن شراء قدر مـا يـراد مـن الارض.

وبدون مال، لا يمكن للمرء ان يفعل شيئا ما حتى ولو كـان يملك ارضا : اذ لن يكون معه ما يشتري به الماشية، وألبسه وغير ذلك من ادوات الزراعة، او ما يشتري بـه الماشـية، وألبسة وغير ذلك من بضـائع المدينـة، هـذا عـدا دفـع الضرائب. وبسبب المال، اقدم جميـع الملاكـين العقـاريين تقريبا على رهن املاكهم لدى المصارف. ولأجل الحصـول على المال، تستقرض الحكومة من النـاس الاغنيـاء ومـن اصحاب المصارف في العالم كله، وتدفع من الفوائد سـنويا مئات الملايين من الروبلات. وبسبب المال. يشنها الجميـع اليوم حربا ضارية بعضهم ضد بعض. كل يريد ان يشـتري بأبخس الاسعار وان يبيع بأعلى الاسعار؛ كان يريد التفـوق على الآخر، كل يريد ان يبيع أكبر كمية ممكنة من البضائع، ان يخفض الاسعار، ان يخفي عن الآخـرين سـوقا مفيـدة للتصريف أو طلبية رابحة. والناس الصغار، الحرفي الصغير والفلاح الصغير، هم اشد من يعانون من هذا الاندفاع العـام إلى المال : فانهم يظلون ابدا وراء التاجر الغنى او الفـلاح الكانز. وليس لديهم ابدا أي احتياطى، ويعيشون بالتقتير، كل يوم بيومه، وهم، لدى كل صـعوبة، لـدى كـل مصـيبة،

يضطرون لرهن اسمالهم الاخيرة او لبيع ماشـيتهم باسـعار بخسة. واذا ما وقعوا في مخالب الكولاكي(**) أو المرابـي، فانهم نادرا ما يتمكنون من خلع سلاسلهم، وهم، في معظـم الاحيان، يفقدون كل شئ. ففى كل سـنة، يغلـق عشـرات الالوف ومئات الالوف من صـغار الفلاحـين والحـرفيين بيوتهم، ويسلمون قطع أرضهم[3] للمشاعة مجانـا ويغـدون عمالا اجراء، واجراء زراعيين، وفعلة، بروليتاريين. بينمـا يزداد اصحاب الثروة ثروة في هذا الصراع من اجل المال. ان الاغنياء يكدسون المال في المصارف بالملايين ومئـات الملايين من الروبلات، ولا يغتنون بمـالهم وحسـب، بـل يغتنون أيضا بالمال الذي يودعه الآخرون في المصارف. ان الناس البسطاء الصغار لا يتقاضون لقاء عشرات او مئـات

(**) الكولاك: الفلاحون الاغنياء الذين يستثمرون الاجراء والفلاحـين الفقراء. – الناشر.

[3] قطع الارض: المقصود بها قطع الارض التي اعطيـت للفلاحـين قصد التمتع بها، بعد الغاء القنانة في روسيا عام ١٨٦١. ولم يكن للفلاحين الحق في بيع هذه القطع؛ وفي قسم كبير من روسيا، كانت هذه القطع في حوزة المشاعة، وكانت توزع على الفلاحين للتمتـع بها، بطريقة اعادة تقسيم الاراضي بصورة دورية.

الروبلات التي يودعونها في المصـارف أو فـي صـناديق التوفير، سوى فائدة قدرها ثلاثة أو اربعة كوبيكات عن كـل روبل، بينما يكدس الاغنياء الملايين بواسطة هذه العشـرات او المئات من الروبلات، فيزيدون بها رقم اعمالهم، ويكسبون عشرة كوبيكات او عشرين كوبيكات بكل روبل.

ولهذا يعلن العمـال الاشـتراكيون-الـديموقراطيون ان الوسيلة الوحيدة لوضع حد لبؤس الشعب، هي أن نغير النظام الحالى برمته في عموم البلاد ونقيم النظام الاشتراكى، اي : ان ننزع من كبار ملاكي الاراضي املاكهم، ومن الصناعيين مصانعهم ومعاملهم، ومن اصحاب المصارف رساميلهم، وان نقضي على ملكيتهم الخاصة ونسلمها إلى الشعب العامل كله في عموم البلاد. حينذاك لن يتصرف بعمل العمـال النـاس الاغنياء الذين يعيشون من عمل الآخرين، بل العمال انفسهم ونوابهم. حينذاك سيستفيد جميع الشغيلة، جميع العمال، مـن ثمار العمل المشترك ومن المنافع الناجلة عن كل التحسينات وكل الآلات. حينذاك ستزداد الثروة بمزيد من السرعة، لأن العمال سيشتغلون احسن من ذي قبـل اذ انهـم سيشـتغلون لانفسهم لا للرأسماليين، وسيكون يوم العمل أقصر، وتتحسن معيشة العمال. وتتغير كل حياتهم تغيرا تاما.

غير أنه ليس من السهل تغيير كل النظـام فـي مجمـل الدولة. فانه يقتضي لهذا الغرض الكثير من الجهد، والكثيـر من النضال العنيد الطويـل. ان جميـع الاغنيـاء، جميـع الملاكين، اي كل البرجوازية[٤] سيدافعون عن ثرواتهم بكـل قواهم. كما ان الموظفين والجيش سيؤمنون الدفاع عن كـل الطبقة الغنية، لأن الحكومة نفسها هي في ايدي هذه الطبقـة. فينبغي على العمال ان يرصدوا صفوفهم ويصبحوا كرجـل واحد من اجل النضال ضد جميع الذين يعيشون مـن عمـل الآخرين؛ ينبغى عليهم ان يتحدوا وان يوحدوا جميـع غيـر المالكين، لكي يشكلوا طبقة عاملة واحدة، طبقة بروليتاريـة واحدة. ان النضال لن يكون سهلا على الطبقة العاملة، ولكنه سينتهى حتما بانتصار العمال، لأن البرجوازيـة، اي الـذين يعيشون من عمل الآخرين، لا تشكل سوى قسم ضئيل مـن الشعب. بينما تشكل الطبقة العاملة اغلبية الشعب السـاحقة. العمال ضد الملاكين، انما هم الملايين ضد الآلاف.

---

[٤] البرجوازي هو المالك. والبرجوازية هي جميع المالكين مجتمعين. والبرجـوازي الكبير هو المالك الكبير. والبرجوازي الصغير هو المالك الصغير. والبرجوازية والبروليتاريا انما هم المالكون والعمال، الاغنياء وغير المالكين، الذين يعيشون من عمل الآخرين والذين يشتغلون للغير لقاء أجر.

ان عمال روسيا اخذوا يتحدون في حـزب اشـتراكي-ديموقراطي عمالي واحد، بقصد خوض هذا النضال العظيم. ومهما كان الاتحاد صعبا في الظروف السرية، في ظـروف التخفي عن البوليس، فان هذا الاتحاد يقوى مع ذلـك علـى الدوام، ويتسع مع ذلك على الدوام. وعندما يظفـر الشـعب الروسي بالحرية السياسية، فان قضية اتحاد الطبقة العاملـة، قضية الاشتراكية، ستتقدم بمزيد من السـرعة لا حـد لـه، واسرع بكثير مما تتقدم به عند العمال الالمان.

(٣) الثروة والبؤس
الملاكون والعمال في الارياف

إننا نعرف الان ما يريد الاشـتراكيون-الـديموقراطيون. انهم يريدون النضال ضد كل الطبقة الغنية لكي ينتشلوا الشعب من لجة البؤس. والواقع، ان البؤس عندنا في الارياف لا يقل عنه في المدن. بل أنه، بالاحرى، اشد؛ واننا لن نتحدث هنـا عن درجة الشدة التي بلغها البؤس في الارياف: فكـل عامـل اقام مدة في الريف، وكل فلاح يعرفان جيدا جدا مـا ينطـوي عليه البؤس والمجاعة والبرد والخراب في الريف.

ولكن الفلاح يجهل لماذا يعاني البؤس والجوع والخراب، وكيف العمل للخلاص من هذا الفقر. ولكي نعـرف ذلـك، ينبغي لنا أولا ان ندرك من اين تتأتى جميع الحرمانات وكل البؤس في المدن والارياف. لقد سبق لنا ان تحدثنا بإيجاز في هذا الموضوع ورأينا أنه يترتب علـى الفلاحـين الفقـراء والعمال في الارياف ان يتحالفو مع عمال المدن. ولكن ذلك لا يكفي. ينبغي أيضا معرفة من هـم فـي الريـف الـذين سيسيرون مع الاغنياء، مع الملاكـين، ومـن هـم الـذين سيسيرون مع العمال، مع الاشتراكيين-الديموقراطيين.

ينبغي معرفة ما اذا كانوا كثيرين اولئك الفلاحون الـذين يعرفون، لا اقل من الملاكين العقـاريين، كيـف يكدسـون الرساميل ويعيشون من عمل الغير. فاذا لـم نـدرس هـذه القضية درسا معمقا، فعبثا جميع التحليلات والمحاكمات عن البؤس، ولن يفهم فلاحو الريف الفقراء من هم فـي الريـف اولئك الذين ينبغى التحالف فيما بينهم ومع عمال المدن، وما ينبغى عمله لكي يكون هذا التحالف وطيدا، لكي لا ينخـدع الفلاح بالملاك، وليس هذا وحسب، بل لكي لا ينخدع أيضـا بأحد زملائه، الفلاح الغني.

لكي ندرك هذا الأمر، سنبحث الآن فيما هي عليـه قـوة الملاكين العقاريين في الارياف وما هي عليه قوة الفلاحـين الاغنياء.

لنبدأ بالملاكين العقاريين. يمكننا ان نحكم علـى قـوتهم، اولا، بمقدار الاراضي التي يملكونها ملكا خاصا. ففى روسيا الاوروبية، كانوا يقدرون مجمل الاراضي الفلاحية المشاعية والاراضي ذات التملـك الخـاص، بحـوالي ٢٤٠ مليـون ديسياتين (الديسياتين ١٠٩٢٥ مترا مربعا. المعرب). (هـذا عدا اراضي الدولة، التي سنعود الى التحدث عنها فيما بعد).

ومن اصل هذه المساحة، ٢٤٠ مليون ديسياتين، يملك الفلاح، اي اكثر من عشرة ملايين أسرة، ١٣١ مليون ديسياتين مـن الاراضي المشاعية؛ بينما يملك الملاكون الخصوصيون، اي اقل من نصف مليون اسرة، ١٠٩ ملايين ديسياتين. ولذا، اذا اخذنا متوسط هذه الارقام، نرى انه يعود لكل اسرة فلاحيـة ١٣ ديسياتينا، ولكل اسرة ملاك خصوصي ٢١٨ ديسـياتينا! ولكن عدم المساواة في توزيع الاراضي اشد بـروزا، كمـا سنرى فيما بعد.

فمن اصل ١٠٩ ملايين ديسـياتين يحوزهـا الملاكـون الخصوصيون، سبعة ملايين تخص الاقطاعات الاميريـة اي يملكها اعضاء اسرة القيصر. فالقيصر مع اسرته هـو الاول بين اسياد الاراضي في روسيا، هو اكبرهم. ان اسرة واحدة تملك من الاراضي اكثر مما تملك نصـف مليـون اسـرة فلاحية! ثم ان الكنيسة والاديرة تملك ما يقـرب مـن سـتة ملايين ديسياتين. ان كهنتنا يعظون الفلاحين بالزهد والتجرد، بينما استأثروا، هم بجميع الوسائل الشرعية وغير الشرعية، بمساحات شاسعة من الاراضي.

ثم ان المدن والضياع تملك حوالي مليوني ديسياتين كمـا ان شتى الجمعيات والشركات التجارية والصـناعية تملـك المساحة نفسها. وثمـة ٩٢ مليـون ديسـياتين (وبالأصـح ٩١٦٠٥٨٤٥ ديسياتينا، ولكننا سنورد هنا ارقامـا مبسـطة، لمزيد من التبسيط) تخص اقل مـن نصـف مليـون (٣٥٨ ٤٨١) اسرة من الملاكين الخصوصيين. ونصف هذا العـدد من الاسر ملاكون صغار جدا؛ فكل منهم يملـك أقـل مـن عشرة ديسياتين. وجميعهم يملكون أقل من مليون ديسـياتين. بينما هناك ستة عشر الف اسرة تملك بالاجمال خمسة وستين مليون ديسياتين، وكل من هذه الاسر تملك اكثر مـن الـف ديسياتين.

اما اية مساحات شاسعة من الاراض متجمعة فـي ايـدي كبار الملاكين العقاريين، فاننا لنرى ذلك في كون أقـل مـن الف اسرة بقليل (٩٢٤) تملك كل منها اكثر من عشرة آلاف ديسياتين من الاراضي! وهي تملك بالاجمال سبعة وعشرين مليون ديسياتين! ان الف اسرة تملك قدر ما يملك مليونا اسرة فلاحية.

ومفهوم انه لابد للملايين وعشرات الملايين من الناس ان يكونوا فريسة البؤس والجوع، وان يظلوا دائما فريسة البؤس والجوع طالما ان بضعة آلاف من كبار الاثرياء يملكون مثل هذه المساحات الشاسعة من الاراضي. ومفهـوم ان سـلطة الدولة بدورها، ان الحكومة نفسـها (وان كانـت الحكومـة القيصرية) سترقص على مزمار هؤلاء الملاكـين الكبـار. ومفهوم ان الفلاحين الفقراء لن يأملوا بان تمتـد الـيهم يـد المساعدة من اي مكان ومن اي احد، طالمـا لـم يجمعـوا صفوفهم بانفسهم لكي يؤلفوا طبقة واحدة بغية خوض نضال عنيد ضار ضد طبقة الملاكين العقاريين هذه.

ونلاحظ هنا ان في بلادنا كثيرين (وحتى كثيـرين مـن الناس المتعلمين) ممن ينادون بوجهة نظر خاطئة تماما فيمـا يتعلق بقوة طبقة الملاكين العقاريين اذ يقولون ان " الدولـة " تملك من الاراضي اكثر منهم بكثير. ان ناصـحي الفـلاح الارديياء هؤلاء يزعمون قائلين : " ان قسما كبيرا من مساحة روسيا (اي، كل اراضيها) اصبح ملك الدولة ". (هذه الكلمات وردت في صحيفة " روسيا الثورية "، العدد ٨، ص ٨). اما مصدر ضلال هؤلاء القوم، فهو التالي : لقد سمعوا ان ثمـة

١٥٠ مليون ديسياتين من الاراضي في روسيا الاوروبية هي ملك الدولة. هذا صحيح، بالفعل. ولكـنهم ينسـون ان هـذه الاملاك، ١٥٠ مليون ديسياتين، هي كلها تقريبا اراض رديئة وغابات في اقصى الشمال، فـي مقاطعـات ارخنجلسـك، وفولوغدا، وأولونيتز، وفياتكا، وبيـرم. فتبقـى اذن ضـمن املاك الدولة اراض كانت حتى الآن غير صـالحة اطلاقـا للزراعة. وفيما يتعلق بالاراضي الجيدة، فان الدولـة تملـك منها أقل من اربعة ملايين ديسياتين. وهذه الاراضي الجيـدة من املاك الدولة، (مثلا، في مقاطعة سامارا حيث هي كثيرة جدا) يستأجرها الاغنياء ببدل بخـس، وحتـى دون مقابـل تقريبا. وهؤلاء الاغنياء يستأجرون من هذه الاراضي الآلاف وعشرات الآلاف من الديسياتينات لكي يؤجروها بدورهم الى الفلاحين ببدلات تزيد ثلاثة اضعاف.

يقينا انهم ناصحون اردياء هؤلاء الذين ينصحون الفـلاح قائلين ان املاك الدولة تشتمل على كثير من الاراضي. ولكن الواقع يبين ان الكثير من الاراضي الجيدة هي في ايدي كبـار الملاكين الخصوصيين (ومنهم القيصر) وان هؤلاء الملاكـين الكبار يضعون ايديهم حتى على املاك الدولـة. وطالمـا ان الفلاحين الفقراء لا يتحدون لكي يصبحوا باتحادهم قوة هائلة،

فان " الدولة " ستظل ابدا الخـادم الـذليل لطبقـة الملاكـين العقاريين. وينبغي ألا يغيب عن البال الامـر التـالى : فيمـا مضى، كان النبلاء وحدهم او تقريبا وحدهم ملاكين عقاريين. وما يزال النبلاء يملكون اليوم مساحة كبيرة من الارض (كان من المقدر ان ١١٥٠٠٠ من النـبلاء يملكـون ٧٣ مليـون ديسياتين في ١٨٧٧ – ١٨٧٨). ولكن المال، الرأسمال، هـو الذى غدا اليوم القوة الرئيسية. فان التجار والفلاحين الاغنيـاء قد اشتروا مساحات هائلة من الاراضـي. ومـن المقـدر ان النبلاء قد خسروا (اي انهم باعوا أكثر ممـا اشـتروا) مـن الاراضي ما تزيد قيمته على ٦٠٠ مليون روبل، وذلـك فـي مدى ثلاثين سنة (من ١٨٦٣ الى ١٨٩٢). وقد حصل التجار والمواطنون الممتازون على مساحة من هذه الاراضي تبلـغ قيمتها ٢٥٠ مليون روبل وحصل الفلاحون، والقـوزاق، و " سائر السكان الريفيين " (هكذا تسمي حكومتنا الناس البسطاء، على خلاف " الجمهور النبيل "، " الجمهور الحقيقي ") علـى مساحة من هذه الاراضي تبلغ قيمتها ٣٠٠ مليون روبل. واننا لنرى بالتالي ان فلاحي عموم روسيا يشـترون كـل سـنة، بصورة وسطية، وكملكية خاصة، ما قيمته ١٠ ملايين روبـل من الاراضي يضمونها الى املاكهم.

وهكذا نرى فلاحين من مختلف الفئات : بعضهم يعـانى البؤس والمجاعة، والآخرون يغتنـون. ولـذا يـزداد عـدد الفلاحين الاغنياء، وهم يميلون نحو الملاكـين العقـاريين، وسيقفون الى جانب الاغنياء ضد العمـال. امـا الفلاحـون الفقراء الذين يريدون التحالف مع عمال المـدن، فعلـيهم ان يفكروا بالامر مليا، وان يوضحوا مسألة معرفة ما اذا كـان هؤلاء الفلاحون الاغنياء كثيري العدد، وما هي قوتهم، واي اتحاد يقتضى لنا لكي نخوض النضال ضد هذه القـوة. لقـد تحدثنا آنفا عن ناصحي الفلاح الارديياء. ان هؤلاء الناصحين الارديياء يحبون ان يقولوا : لقد شكل الفلاحون اتحادا. وهذا الاتحاد هو ال " ـمير "، المشاعة. و " المير " قـوة هامـة. فهي تضم الفلاحين بصورة وثيقة، ان منظمـة (اي تجمـع، اتحاد) فلاحي المشاعات هي منظمة جبارة (اي هائلة، كبيرة جدا). هذا خطأ. هذه حكاية خرافية. وانها لحكاية رغـم ان اناسا طيبين قد تصوروها. واذا ما اخذنا في الاستماع الـى الحكايات، فاننا نسئ الى قضيتنا، اي الى تحالف الفلاحـين الفقراء مع عمال المدن. ليتطلع كل ساكن في الارياف الى ما حوله بانتباه : فهل ان " المير "، المشاعة الفلاحيـة، تشـبه

اتحاد الفلاحين الفقراء من اجل النضال ضد جميع الاغنياء، ضد جميع الذين يعيشون من عمل الغير؟ كلا، انها لا تشـبه ولا يمكن لها ان تشبه. في كل قرية، في كل مشاعة، كثيرون من الاجراء الزراعيين، كثيرون من الفلاحين الذين افتقروا؛ وهناك اغنياء يستخدمون عمالا زراعيين ويشترون الارض " الى الابد ". هؤلاء الاغنياء هم أيضا اعضاء في المشـاعة، ويسودون فيها كالاسياد، لانهم يشكلون قوة. فهل هذا الاتحاد الذى يشترك فيه الاغنياء ويسودون فيه كالاسياد هو الاتحاد الذى ينبغي لنا؟ كلا، ابدا. ينبغى لنا اتحاد من اجل النضـال ضد الاغنياء. ولذا كان الاتحاد المشاعي لا يصلح لنا اطلاقا.

ينبغي لنا اتحاد قائم على حرية القبول، اتحاد من انـاس فهموا انه يترتب عليهم التحالف مع عمال المدن؛ في حين ان المشاعة ليست اتحادا قائما على حرية القبول، انما هي اتحاد اداري. فالمشاعة لا تضم اولئك الذين يشـتغلون للاغنيـاء، والذين يريدون ان يناضلوا معا ضد الاغنياء. انما تضم شتى انواع القوم، لا بملء ارادتهم، بل لأن آباءهم عاشوا في هذه الارض، واشتغلوا لهذا المـلاك العقـاري، لأن السـلطات سجلتهم في هذه المشاعة. فالفلاحون الفقراء لا يسـتطيعون الخروج من المشاعة بحرية؛ ولا يستطيعون ان يقبلوا فيهـا

غريبا فرض عليه البوليس الاقامة في ناحية اخرى. والحال، ان ما ينبغي لاتحادنا، قد يكون ان يقيم هذا الغريـب بيننـا. كلا، ينبغي لنا اتحاد آخر، اتحاد قائم على حريـة القبـول، اتحاد لا يضم غير العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء، من اجل النضال ضد جميع الذين يعيشون من عمل الغير.

لقد ولت الازمان التي كانت فيها " المير " (المشاعة) قوة. ولن تعود هذه الازمان ابدا. لقد كانت " المير " قوة، عندما لـم يكن ثمة تقريبا بين الفلاحين اجـراء زراعيـون ولا عمـال يهيمون عبر روسيا سعيا وراء مورد للعيش؛ عندما لم يكـن ثمة تقريبا اثرياء كبار وعندما كان الاقطاعي ينيخ بثقله علـى الجميع دون اي تمييز. اما اليوم، فان المال هو القوة الرئيسية. فالمال هو الذي يدفع اعضاء مشاعة واحدة الـى التصـارع كالوحوش الكاسرة. والفلاحون الذين يملكون المـال ينيخـون بثقلهم على اعضاء مشاعتهم وينهبونهم أشد مما كان ينهـبهم الملاك العقاري. فما ينبغي لنا الآن، ليس اتحادا مشاعيا، بـل اتحادا ضد جبروت المال، ضد سلطة الرأسمال، اتحاد جميـع العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء من مختلف المشـاعات، اتحاد جميع الفلاحين الفقراء مع عمال المدن، بغيـة النضـال ضد الملاكين العقاريين والفلاحين الاغنياء دون اي تمييز.

لقد رأينا آنفا ما هي قوة الملاكين العقاريين. لنر الآن اذا كان الفلاحون الاغنياء كثيرين وما هي قوتهم.

لقد حكمنا على قوة الملاكـين العقـاريين وفقـا لمقـدار الارض التى يحوزون. ان الملاكين العقـاريين يتصـرفون بارضهم كما يطيب لهم، وهم يشترونها ويبيعونهـا بحريـة. ولذا يمكن الحكم بكل دقة على قوتهم وفقا لمسـاحة الارض التي يحوزون. اما الفلاحون، فلا يحـق عنـدنا حتـى الأن التصرف بارضهم بحرية؛ فما يزالون حتـى الآن انصـاف اقنان، مرتبطين بمشاعاتهم. ولذا لا يمكن الحكم علـى قـوة الفلاحين الاغنياء وفقـا لمسـاحة الارض المشـاعية التـى يستغلونها.

ان الفلاحين الاغنياء لا يغتنون من حصتهم المشـاعية : انهم يشترون مساحات كبيرة من الارض، يشـترون الارض اما " الى الابد " (اي كملكية خاصة)، واما " لسـنوات " (اي يستأجرون الارض)؛ انهم يشترون الارض مـن الملاكـين العقاريين كما يشترونها من اخوتهم الفلاحين الذين يتركـون الارض، او الذين يؤجرون ارضهم بدافع العوز. ولذا كـان من الاضمن تحديد الفلاحين الاغنياء والفلاحين المتوسـطين

والفلاحين الفقراء وفقا لعدد الاحصنة التى يملكون. فـالفلاح الذى يملك عدة احصنة هو دائما تقريبا فلاح غني؛ واذا كان لديه كثير من مواشي العمل، فذلك يعني ان لديه كثيرا مـن الاراضي المزروعة وغيرها من الاراضـي عـلاوة علـى الحصة المشاعية، وان لديه مالا احتياطيا. ثم اننا نستطيع ان نعرف عدد الفلاحين الذين يملك كل منهم عدة احصنة، فـي عموم روسيا (روسيا الاوروبية، عدا سـيبيريا والقفقـاس). وينبغي، بالطبع، الا ننسى انه، فيما يتعلق بعموم روسـيا، لا يمكن التحدث الا بصورة وسطية، اذ ان هناك فرقا بارزا بين هذه الاقضية والمقاطعات وتلك. فغالبا ما نجد، مـثلا حـول المدن، فلاحين مزارعين اغنيـاء لا يملكـون الكثيـر مـن الاحصنة. فالبعض يقوم بزراعة الخضراوات التى تدر عليه ايرادا حسنا؛ والبعض الآخر يملك القليل من الاحصنة، ولكنه يملك الكثير من البقر ويبيع الحليب. وثمة، في كل مكان من روسيا، فلاحون لا يغتنون من الارض، بل من التجارة؛ فهم يقيمون مصانع الزبدة، وقشارات الحبوب؛ وغير ذلـك مـن المصانع. وجميع الذين يسكنون في الارياف يعرفون جيـدا جدا الفلاحين الاغنياء في قريتهم أو في ناحيتهم. غيـر انـه

ينبغي لنا ان نعرف عدد هؤلاء الفلاحين الاغنياء في عمـوم روسيا وما هي قوتهم، لكي لا يسير الفلاح الفقير على غيـر هدى، مغمض العينين، بل لكي يعرف على وجه الضبط من هم اصدقاؤه ومن هم اعداؤه.

لذا سنرى اذا كانوا كثيرين، الفلاحون الاغنياء والفلاحون الفقراء بالاحصنة. لقد سبق لنا ان قلنا ان روسـيا، حسـب التقديرات، ما يقرب من عشرة ملايين اسرة فلاحية. ومـن المحتمل انهم يملكون جميعا ما يقرب من خمسة عشر مليون حصان (منذ اربع عشرة سنة تقريبا، كان هناك سبعة عشـر مليون حصان، والآن يوجد اقل مما مضى). اذا تملـك كـل عشر اسر، بصورة وسطية، خمسة عشر حصانا. غير انـه تنبغي الملاحظة ان البعض، وهم قلائل، يملكون الكثير مـن الاحصنة، بينما الآخرون، وهم كثيرين جدا، يملكون القليـل من الاحصنة أو لا يملكون. ان الفلاحين الـذين لا احصـنة عندهم يبلغ عددهم على الاقل ثلاثة ملايين، وثمة ما يقـرب من ثلاثة ملايين ونصف مليون فلاح يملك كل منهم حصـانا واحدا فقط.

وهؤلاء الفلاحون هم اما فلاحـون اصـيبوا بـالخراب الشامل، واما فلاحون غير مالكين. ونحن نسـميهم فلاحـين فقراء ويبلغ عددهم ستة ملايين ونصف مليون مـن اصـل عشرة ملايين فلاح، اي انهم يبلغون ما يقرب من الثلثين! ثم يأتى الفلاحون المتوسطون الذين يملك كل منهم زوجا مـن ماشية العمل. ويبلغ عدد اسـر هـؤلاء الفلاحـين حـوالى المليونين وعندهم نحو اربعة ملايـين حصـان. ثـم يـأتي الفلاحون الاغنياء الذين يملك كل منهم اكثر مـن زوج مـن ماشية العمل.

ويبلغ عدد اسر هؤلاء الفلاحين الاغنياء مليون ونصـف مليون، ولكنهم يملكون سبعة ملايين ونصـف مليـون مـن الاحصنة وهذا يعني ان ما يقرب من سدس الاسر الفلاحيـة يملك نصف مجمل الاحصنة.

واستنادا الى ما ورد اعلاه، نستطيع ان نحكم بما يكفـي من الدقة على قوة الفلاحين الاغنياء. فهم ليسو كثيري العدد: ففي مختلف المشاعات، في مختلف النواحي، سـنجد عشـر اسر او عشرين اسرة من الفلاحين الاغنياء من اصل كل مئة اسرة فلاحية. ولكن هذه الاسر القليلة العدد هي اغنى الاسر. ولهذا تملك في عموم روسيا من الاحصنة ما يقرب من كـل ما يملكه جميع الفلاحين الآخرين معا. يـنجم بالتـالي انهـم يملكون ما يقرب من نصف جميـع الاراضـي المزروعـة الفلاحية. ان هؤلاء الفلاحين يحصدون من الحبـوب اكثـر بكثير مما ينبغي لاسرهم. ويبيعون الكثير من الحبوب. فهـم لا يستخدمون الحبوب للتغذية وحسب، بل للبيع أيضا علـى الاخص، لكسب المال. هـؤلاء الفلاحـون يسـتطيعون ان يكدسوا المال. وهم يودعونه في صـناديق التـوفير أو فـي المصارف. وهم يشترون الاراضي ملكا لهم. لقد سبق لنا ان تكلمنا عن الاراضي الكثيرة التى يشتريها الفلاحون كل سنة في عموم روسيا؛ فالفلاحون الاغنياء هؤلاء، القليلو العـدد، يستأثرون بجميع هذه الاراضي تقريبا. اما الفلاحون الفقراء، فانهم لا يفكرون ابدا بشراء الاراضي، انما يفكـرون ببـاب

للرزق. بل المال ينقصهم في غالب الاحيان لشراء الخبـز، فكيف لا ينقصهم لشراء الارض. ولذا فان جميع المصـارف بوجه عام والمصرف الفلاحي بوجه خاص لا تساعد جميـع الفلاحين في الحصول على الارض (كما يزعم غالبا اولئـك الذين يخدعون الفلاح او كما يردد بعض الناس السذج)، بـل تساعد عددا ضئيلا من الفلاحين، الفلاحين الاغنياء فقط. ولذا فان ناصحي الفلاح الاردياء، الذن سبق وتحـدثنا عـنهم، لا يقولون الحقيقة فيما يتعلق بشـراء الفلاحـين الارض حـين يزعمون ان هذه الارض تنتقل من الرأسمال الى العمل. فلا يمكن للارض ان تنتقل ابدا الى العمل، اي الى العامل غيـر المالك، لأن للارض ثمنا، لأن الارض تتطلب مال. والحال، ان الفقراء لا يملكون ابدا مالا يفيض عـنهم. ان الارض لا تنتقل الا الى الفلاحين الاغنياء الذين يملكون المـال، الـى الرأسمال، الى الذين ضدهم ينبغـي ان يناضـل الفلاحـون الفقراء، بالتحالف مع عمال المدن.

ان الفلاحين الاغنياء لا يشترون فقط الارض الى الابـد؛ بل يعمدون أيضا على الاغلب الى استئجار الاراضي لعـدة سنوات. وهم، باستئجارهم مساحات شاسعة من الاراضـي، انما يحرمون الفلاحين الفقراء منها. ففي قضاء واحـد مـن اقضية مقاطعة بولتافا، مثلا، (قضاء كونسطانطينوغراد)، تم تحديد مساحة الاراضي التى استأجرها الفلاحون الاغنيـاء. وماذا كانت النتيجة؟ لقد تبين ان الذين اسـتأجروا مسـاحة قدرها ٣٠ ديسياتينا واكثر بالنسبة لكل اسرة كانوا قليلي العدد جدا، كانوا يشكلون اسرتين فقط من اصل ١٥ اسرة. ولكـن هؤلاء الاغنيـاء اسـتأثرو بنصـف مجمـوع الاراضـي المستأجرة، وهكذا حصل كل ثري على ٧٥ ديسـياتينا مـن الاراضي المستأجرة، وهكذا حصل كـل ثـري علـى ٧٥ ديسياتين من الاراضي المستأجرة! كذلك تـم فـي مقاطعـة توريدا تحديد ما استأثروا به الاغنيـاء مـن الارض التـي استأجرها الفلاحون من املاك الدولة، لحساب المشاعة. فقـد تبين ان الاغنياء الذين يشكلون خمـس الاسـر فقـط، قـد استأثروا بثلاثة ارباع مجموع الارض المستأجرة. فان اقتسام الارض يجري في كل مكان على اساس المال؛ والحـال، ان عددا قليلا جدا من الاغنياء يملكون المال.

لنتابع. ان الفلاحين انفسهم يؤجرون اليـوم الكثيـر مـن الاراضي.

وهم يتخلون عن الحصص المشاعية، لأنهـم لا يملكـون ماشية ولا بذارا، ولا اي شيء آخر لاسـتثمار حصصـهم. وبدون مال، لا فائدة من الارض في الزمن الـراهن. ففـى قضاء نوفووزنسك، من مقاطعة سامارا، مثلا، نرى ان اسرة او حتى اسرتين من كل ثلاث اسر بين الفلاحـين الاغنيـاء تستأجر الاراضي المشاعية في مشاعتها او فـي المشـاعة المجاورة. والفلاحون الذين لا يملكون احصنة أو الذين يملك كل منهم حصانا واحدا هـم الـذين يطرحـون حصصـهم للايجار. ففي مقاطعة توريا، ثلث اسـر الفلاحـين تـؤجر حصصها، اي ما يبلغ ربع جميع حصص الفلاحين، او ربـع مليون ديسياتين.

ومن ربع المليون هذا، يستأثر الفلاحون الاغنيـاء بمئـة وخمسين الف ديسياتين (اي ثلاثة اخماس)! هنا أيضا نستطيع ان نرى اذا كانت " الميـر "، اذا كانـت المشـاعة توافـق الفلاحين الفقراء. ففي المشاعة الفلاحية، القوي هو من يملك المال. والحال، ان ما ينبغى لنا، انما هو تحـالف الفلاحـين الفقراء من مختلف المشاعات.

وكما يخدعون الفلاح في مسألة شـراء الارض، كـذلك يخدعونه عندما يقولون له انه يستطيع ان يشـتري باسـعار زهيدة المحاريث والحاصدات وشتى انواع الادوات المتقنـة الاخرى. ويبنون مخازن الزيمستفون وينظمـون ارتـيلات ويقولون : ان الادوات المتقنة ستحسن وضع الفـلاح. هـذا كذب. فان هذه الادوات المتقنة جميعها لا تعود الا للاغنيـاء بينما لا يتلقى الفلاحون الفقراء اية ادوات او يتلقـون منهـا القليل القليل. وعندهم ما يشغلهم عـن التفكيـر بالمحاريـث والحاصدات، هو ألا يموتوا جوعا! ان كل هذه " المسـاعدة للفلاحين " ليست سوى مساعدة للاثرياء لا غير. اما جمهور سواد الفقراء الذين لا ارض عندهم ولا ماشية، ولا احتياطي، فلا يمكن مساعدتهم بمجرد تخفيض اسعار خيـرة الادوات. ففي احد اقضية مقاطعة سامارا، مثلا، جرى تعـداد جميـع الادوات المتقنة عند الفلاحين الاغنياء والفلاحين الفقراء. وقد تبين ان خمس الاسر اي اكثر الفلاحين يسرا، يملكـون مـا يقرب من ثلاثة ارباع جميع الادوات المتقنة، بينما لا يملـك الفقراء، اي نصف الاسر، سوى جزء من ثلاثين. ان عشرة آلاف اسرة من اصل ثمانية وعشرين الف اسرة فـي هـذا

القضاء هي اسر فلاحين لا تملك كل منهـا اي حصـان أو تملك كل منها حصانا واحدا فقط. وهذه الاسر العشرة الآلاف لا تملك كلها سوى سبع ادوات متقنة من اصـل ٥٧٢٤ اداة متقنة تملكها جميع اسر الفلاحين في هذا القضاء. سبع ادوات من اصل ٥٧٢٤ اداة، ذلك هو نصيب الفلاحين الفقراء مـن جميع هذه الاتقانات، من كل هـذه التعميمـات للمحاريـث والحاصدات التى تساعد، كما يزعمون، " سواد الفلاحـين "! وهذا ما ينبغي للفلاحين الفقـراء ان ينتظـروه مـن الـذين يتحدثون عن " تحسين الاقتصاد الفلاحي "! واخيـرا، مـن ميزات الفلاحين الاغنياء الرئيسية، انهم يستأجرون اجـراء زراعيين ومياومين. فالفلاحون الاغنياء، شأنهم شأن الملاكين العقاريين، يعيشون من عمل الغير. وهم يغتنون، شأنهم شأن الملاكين العقاريين، لأن جماهير الفلاحين يفتقرون ويحل بهم الخراب.

وهم، شأنهم شأن الملاكين العقاريين، يجهدون لكي يشغلوا اجراءهم اكثر ما يمكن ولكي يدافعوا لهم اقل ما يمكن مـن الاجور. ولو لم يكن ملايين الفلاحين مصابين بالخراب التام وملزمين بالعمل عند الغير، وبتأجير اذرعهـم وبيـع قـوة عملهم، لما استطاع الفلاحون الاغنياء ان يعيشوا ويستثمروا حصصهم ولما كان بوسعهم الاستئثار بالحصص "المتروكة"، ولا ايجاد عمال. والحال، ان مليونا ونصـف مليـون مـن الفلاحين الاغنياء في عموم روسيا يستأجرون بكـل تأكيـد مليونا على الاقل من الاجراء الزراعيين والمياومين. ومفهوم ان الفلاحين الاغنياء سيقفون الى جانـب الملاكـين وضـد الطبقة العاملة في غمرة النضال الكبير بين طبقة الملاكـين وطبقة غير المالكين، بين اربـاب العمـل والعمـال، بـين البرجوازية والبروليتاريا.

اننا نعرف الآن وضع الفلاح الغني وقوته. فلنر الآن كيف يعيش الفلاحون الفقراء.

لقد سبق لنا ان قلنا ان الفلاحين الفقراء يشـكلون اغلبيـة ساحقة، اى ما يقرب من ثلثي جميع الاسر الفلاحية في عموم روسيا.

اولا، تعد الاسر التي لا تملك اي حصان ثلاثـة ملايـين اسرة على الاقل، وقد تعد اكثر من ذلـك، ثلاثـة ملايـين ونصف مليون اسرة في الوقت الحاضر، وكل سنة ماحلـة، كل موسم رديء، يخرب عشرات الآلاف من الاسـتثمارات. وعدد السكان ينمو باستمرار، فيعيشون في ضـيق متزايـد الشدة، بينما يستأثر الملاكون العقاريون والفلاحون الاغنيـاء بكل الاراضي الطيبة. وها ان الخراب يحل كل سـنة بعـدد متزايد ابدا من الناس، فيمضون يعملون في المدينـة، فـي المصنع، ويشتغلون اجراء زراعيين، وفعلة. ان الفلاح الذى لا حصان عنده هو الفلاح الذى لم يبق يملـك شـيئا. انـه بروليتاري. وهو يعيش (طالما يعيش، أو يتقلب على جمـر الحياة كما يستطيع)، لا مـن الارض، لا مـن اسـتثماراته الريفية، بل من العمل المأجور. أنه الاخ التوأم لعامل المدينة. وما عساه ان يفعل بالارض الفلاح الذى لا حصان عنده! ان نصف الاسر التي لا احصنة عنـدها تعـرض حصصـها للايجار، بل انها تسلم هذه الحصص احيانا الـى المشـاعة مجانا (حتى انها تدفع مبلغا ما للـتخلص منهـا!) لأنهـا لا تستطيع زراعة الارض. ان الفلاح الذى لا حصان عنده يكاد لا يبذر مساحة قدرها ديسياتين واحد أو اثنان على الاكثـر.

وهو مكره ابدا على شراء كمية اضافية من الحبوب (هذا اذا كان لديه المال) لأن حبوبه لا تكفيه ابدا. اما الفلاحون الذين يملك كل منهم حصانا واحدا – ويبلغ عـدد اسـرهم ثلاثـة ملايين ونصف مليون اسرة تقريبا في عموم روسيا، - فليسو احسن حالا بكثيرا. لا ريب في ان ثمة استثناءات، وقد سبق ان قلنا ان هناك فلاحين في بعض الاماكن يعيشـون عيشـة وسطية، بل ثمة فلاحون اغنياء يملك كل منهم حصانا واحدا فقط. ولكننا لا نتحدث عن الاستثناءات، ولا عن هذه المحلـة أو تلك، انما نتحدث عن عموم روسيا. فاذا نظرنا الى سواد الفلاحين الذين يملك كل منهم حصانا واحدا فقط، رأينا بـلا ريب انه سواد من الفلاحين الفقراء ومن المعوزين. فـالفلاح الذى يملك حصانا واحـدا يبـذر، حتـى فـي المقاطعـات الزراعية، ما مساحته ثلاثة ديسياتينات او اربعـة، ونـادرا خمسة. وحبوبه لا تكفيه أيضا. وحتى لو كانت السنة طيبـة، لما أكل احسن من الفلاح الذى لا حصان عنده. ولـذا فهـو يعاني دائما قلة التغذية، يعاني دائما الجوع. واستثماراته فـي انحطاط، والماشية هزيلة اذ ينقصها العلف، - وليس به قوة للعناية بارضه كما ينبغي. والفلاح الذى يملك حصانا واحـدا يستطيع ان ينفق مبلغا لا يزيد على عشرين روبلا بالسـنة –

في مقاطعة فورونيج، مثلا – على كل استثماراته (هذا عـدا علاف الماشية)! (اما الفلاح الغني، فانه ينفق مبلغا يزيد عشر مرات). عشرون روبلا بالسنة – لدفع بدل ايجـار الارض، وشراء الماشية، واصلاح المحراث الخشبي وغير ذلك مـن العتاد، ودفع اجرة الراعي، وكل الباقي! فهـل يسـمى هـذا استثمارا؟ فاية ازعاجات، واية اعمال شاقة، واي عذاب دائم! ولذا كان مفهوما جيدا جدا لماذا يقدم عدد من الفلاحين الذين يملك كل منهم حصانا واحدا فقط، بل عدد كبير جدا مـنهم، على تأجير حصصهم من الارض. فالمعوز، وان كان يملـك ارضا، لا يفيد منها شيئا كثيرا. فاذا لم يكن لديه مال، فـان الارض لن تعطيه هذا المال، بل انها لن تعطيه مـا يعـيش منه. بينما ينبغي ابدا المال : للأكل، للباس، للاستثمارة، لدفع الضرائب. ففي مقاطعة فورونيج، نرى ان مجرد الضـرائب التي يسددها على العموم الفلاح الذي يملك حصانا واحـدا، يبلغ حوالى ثمانية عشر روبلا بالسنة؛ والحال انه لا يكسـب ابدا اكثر من ٧٥ روبلا بالسنة، ويترتب عليه مـع ذلـك ان يجابه جميع النفقات.

وليس الا من قبيل السخرية اذا امكن التحدث هنـا عـن شراء الارض، وعن العتاد المتقن، وعن المصارف الريفية : فكل هذه الامور لم تخترع من اجل الفلاح الفقير.

ولكن،اين يجد الفلاح المال في هذه الحال؟ لا بد له مـن السعي وراء " مورد للرزق ". ان الفلاح الذي يملك حصـانا واحدا، شأنه شأن الفلاح الذي لا حصان عنده، لا يسـتطيع ايجاد اى مخرج له الا بالسعي وراء " مورد للرزق ". ومـا يعني " مورد للرزق "؟ انه يعني العمل عند الآخرين، القيـام بعمل مأجور. وهو يعني ان الفلاح الذى يملك حصانا واحدا لم يبق مالكا الا بصورة نصفية، فقد غدا اجيرا، بروليتاريـا. ولهذا يطلق على هؤلاء الفلاحين اسم انصاف البروليتاريين. وهم أيضا الاخوان التوائم لعمال المدن، لأنهم أيضا منهوبون بشتى الطرق من قبل شتى انواع الاسـياد. وهـم أيضـا لا مخـرج لهـم، ولا وسـيلة للخـلاص الا بالتحـالف مـع الاشتراكيين-الديموقراطيين من اجل النضـال ضـد جميـع الاغنياء، ضد جميع الملاكين. فمن يعمل في بناء الخطـوط الحديدية؟ من ينهبه المتعهدون؟ من يشتغل في قطع الخشـب أو في تعويمه؟ من يعمـل اجيـرا زراعيـا؟ مـن يشـتغل

بالمياومة؟ من يقوم بالاعمال الخشنة في المدن وفي المرافئ؟ انهم الفلاحون الفقراء. انهم الفلاحون الذين لا احصنة عندهم أو يملك كل منهم حصانا واحدا. انهم البروليتاريون وانصاف البروليتاريين من الريف. واي جمهور غفير هؤلاء القوم في الارض الروسية! من المقدر ان السلطات تسلم كل سنة فـي عموم روسيا (عدا وسيبيريا) ثمانية واحيانا تسـعة ملايـين تذكرة هوية، وهؤلاء الحاصلون على تذاكر الهوية انما هـم جميعا عمال يشتغلون خارج قراهم ونواحيهم. وهـم ليسـوا فلاحين الا بالاسم، أما في الواقع، فهم اجراء، عمال. ولـذا ينبغي عليهم جميعا ان يشكلوا اتحادا واحدا مع عمال المدن، وكل شعاع من نور ومعرفة يتسرب الى القرية، سيقوي هذا الاتحاد ويوطده.

كذلك لا ينبغي نسيان الامر التالي بصدد " مورد الرزق ". ان جميع الموظفين والذين يفكرون مثلهم يحبون ان يـرددوا ان الفلاح، الموجيك، " يحتاج " الى شـيئين : اولا، الارض (فقط مساحة غير كبيرة، - ولكن، من ايـن يأخـذ الفـلاح مساحة كبيرة، ما دام الاغنياء قد استأثروا بالارض!)، وثانيا، " مورد الرزق ". ولذا يزعمون انه، فـي سـبيل مسـاعدة

الشعب، ينبغي تنظيم اكثر ما يمكن مـن الصـناعات فـي الريف، و" تأمين " " مورد للرزق " أوفـر. ان مثـل هـذه الاقاويل رياء برياء. ان " مورد الرزق " للفلاحين الفقـراء، انما هو العمل المأجور. ان " تأمين مورد رزق " للفلاح، انما يعني تحويله الى عامل أجير. فيا لها من مساعدة رائعـة، لا عيب فيها! اما الفلاحون الاغنياء، فلهم " مورد رزق " آخر، يتطلب الرأسمال، لبناء طاحونة، مثلا، - أو ايـة مؤسسـة اخرى، لشراء دارسة، للتجارة، الخ.. فالخلط بـين مـوارد الرزق هذه لاناس لديهم المال وبين عمل الفقراء المـأجور، انما يعنى خداع الفقراء. ان الاغنياء يفيدون، بالطبع، من هذا الكذب. فمن المفيد لهم عرض الامور بصورة توهم الناس ان جميع الفلاحين يستطيعون الحصول على جميـع " مـوارد الرزق " وان الوسائل متوافرة لهم من اجل هذا الغرض. اما الذين يتمنون حقا الخير للفلاحين الفقراء، فانهم يقولون لهـم كل الحقيقة وليس غير الحقيقة.

بقي علينا الآن ان نتحدث عن الفلاحين المتوسـطين. لقـد رأينا آنفا انه يمكننا ان نعتبر بصـورة وسـطية ان الفـلاح المتوسط هو، في عموم روسيا، الفلاح الذي يملـك ماشـيتي عمل، وان هناك ما يقرب من مليوني اسـرة مـن الفلاحـين المتوسطين من اصل عشرة ملايين اسرة فلاحية. ان الفـلاح المتوسط هو في الوسط بين الغني والبروليتـاري، - ولهـذا يسمونه الفلاح المتوسط. وهو يعيش بصورة وسطية : فعندما تكون السنة طيبة، يحصل من استثمارته على ما يكفي، ولكن العوز يتربص به دائما. اذ انه لا يستطيع ان يضع جانبـا اي احتياطي، أو انه يضع – منه قليلا جدا. ولهذا كانت استثمارته غير مستقرة. ومن الصعب ان يجد المال : فان استثماراته لا تؤمن له الا نادرا جدا المبلغ الذى يحتاج اليه، واذا ما امنت له مبلغا ما، فلا يتجاوز هذا المبلغ ابدا المبلغ المطلوب.

واذا شاء السعي وراء مـورد للـرزق، اضـطر لتـرك استثمارته، مما يسبب له الازعاجات والمضـايقات. ولكـن كثيرين من الفلاحين المتوسطين لا يستطيعون الاستغناء عن مورد للرزق : ولذا يضطرون للعمل اجراء، للاستذلال امام الملاكين العقاريين. للاستدانة. والحال ان الفلاح المتوسط لا يتوصل ابدا تقريبا الى التخلص من الديون : فليسـت لديـه ايرادات ثابته، كما هي حال الفلاح الغني.

فاذا ما تقيد بدين، كان ذلك بمثابة حبل في عنقـه. فهـو يظل غارقا في ديونه الى ان يصاب بالخراب الشامل. وفـي غالب الاحيان، يستسلم الفلاح المتوسط للملاك العقاري الذي يحتاج، لبعض الاعمال المعينة، الى فلاح لم يصب بالخراب، ويملك حصانين وكل العتاد الضروري. ومن الصعب علـى الفلاح المتوسط ان يشتغل خارج قريته وناحيته، ولذا يستسلم ويخضع للملاك العقاري لكي يحصل على الخبز، لكي يـدفع بدل المرعى، لكي يستأجر الاراضي المنتزعة من الفلاحين، لكي يسدد دينه المالي الذي عقده في الشتاء.

وعدا الملاك العقاري والكولاكي، نرى الجار الغني ينـيخ بكلكله على الفلاح المتوسط : فهو ليس بمالك حسن الادارة. ولا بعامل، ان جميع الفلاحين المتوسـطين يرغبـون فـي الارتفاع الى مستوى المستثمرين، انهم يريدون ان يصـبحوا ملاكين، ولكن قليلين قليلين منهم يبلغون هذا الهدف. وليسوا بكثيرين اولئك الذين يستأجرون عمالا زراعيين او ميـاومين ويسعون الى استغلال عمل الآخرين، الـى الاثـراء علـى حساب الآخرين. والحال ان اغلبية الفلاحين المتوسـطين لا يمكنهم ان يستخدموا عمالا آخرين، انما يضطرون هم انفسهم الى الخدمة عند الغير.

وحيثما يحتدم النضال بين الاغنياء والفقراء، بين الملاكـين والعمال، يقف الفلاح المتوسط في الوسط ولا يعرف الـى اي جانب يقف. فالاغنياء يجذبونه الى جانبهم قائلين لـه : ألسـت مستثمرا، ألست ملاكا، وليس لـك مـا تفعلـه بـين العمـال المعوزين. اما العمال فانهم يقولون له : ان الاغنياء سيخدعونك ويسلبونك، وليس ثم اي خلاص لك الا بمساعدتنا في النضـال ضد جميع الاغنياء. ان هذا النزاع حول الفلاح المتوسط يستمر في كل مكان، في جميع البلدان التـي يناضـل فيهـا العمـال الاشتراكيون-الديموقراطيون من اجل تحرير الشعب العامـل. غير ان هذا النزاع ما يزال في بدايته في روسيا.

ولذا يتعين علينا ان ندرس هذه المسألة عـن كثـب وان ندرك جيدا باية اكاذيب يجر الاغنياء الفلاح المتوسط، ومـا ينبغى القيام به من اجل فضح هـذه الاكاذيـب، مـن اجـل مساعدة الفلاح المتوسط في ايجاد اصدقائه الحقيقيـين. فـاذا سار العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون الروس في السبيل القويم منذ الخطوة الاولى، استطعنا، بصورة اسرع مما فعل رفاقنا العمال اللألمان، ان نشكل اتحادا مكينا بـين الشـعب العامل في الارياف وبين عمال المدن، واسـتطعنا التوصـل بسرعة الى الانتصار على جميع اعداء الشغيلة.

(٤) إلى أي جانب ينبغي أن يقف الفلاح المتوسط؟
إلى جانب الملاكين والأغنياء أم إلى جانب العمال وغير المالكين؟

إن جميع الملاكين، إن كل البرجوازية، يسعون إلى اجتذاب الفلاح المتوسط إلى جانبهم، فهم يعدونه بشتى أنواع التـدابير التي تؤول إلى تحسين استثماراته (محاريث زهيدة الأسـعار، مصارف ريفية، اتباع طريقة زراعة الحشائش، بيع المواشـي والأسمدة بأسعار مخفضة، الخ.) ويشركونه أيضا بشتى أنـواع الاتحادات الزراعية (التعاونيات، كما يسمونها في الكتب) وهي اتحادات بين شتى أصناف الملاكين من أجل تحسين الاستثمار. على هذا النحو، تسعى البرجوازية جهدها إلـى أن تصـرف الفلاح المتوسط وحتـى الفـلاح الصـغير، وحتـى نصـف البروليتاري، عن الاتحاد مع العمال؛ بل إنها تسعى جهدها إلى تحريضهم على الوقوف إلى جانـب الأغنيـاء، إلـى جانـب البرجوازية، في نضالها ضد العمال، ضد البروليتاريـا. أمـا العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون، فإنهم يردون على هـذه

المساعي كما يلي: إن تحسين الاستثمار أمر حسن. فأي ضرر ينجم عن شراء المحاريث بأسعار زهيدة، فالتاجر الفطن يحاول الآن أن يبيع بأسعار زهيدة لكي يجتذب الزبائن. ولكن، عندما يقولون للفلاح الفقير وللفلاح المتوسط أن تحسين الاستثمار وترخيص أسعار المحاريث سيساعدان جميع الفلاحين الصغار والمتوسطين في التخلص من البؤس وفي النهوض من العثرة، دون أي مساس بالأغنياء، فذلك خداع بخداع. فالأغنياء هم أكثر من يربحون من جميع تخفيضات الأسعار ومن جميع هذه التحسينات والتعاونيات (اتحادات بيع وشراء البضائع). وهم يزدادون قوة على الدوام، وينيخون أكثر فأكثر على الدوام بكلكلهم على الفلاحين المتوسطين لن يتخلصوا أبدا من البؤس، مادام الأغنياء أغنياء وما داموا يحوزون القسم الأكبر من الأرض والماشية والعتاد والمال. قد يتمكن فلاح أو فلاحان متوسطان من التسرب إلى صفوف الأغنياء بفضل هذه التحسينات وهذه التعاونيات، ولكن الشعب بأسره وجميع الفلاحين المتوسطين سيغرقون مع ذلك أعمق فأعمق في لجة البؤس. فلكي يصبح جميع الفلاحين المتوسطين أغنياء، ينبغي القضاء على الأغنياء أنفسهم، ولن يتحقق هذا الغرض إلا باتحاد عمال المدن مع الفلاحين الفقراء.

إن البرجوازية تقول للفلاح المتوسط (بل للفلاح الصغير) سنبيعك الأرض والمحاريث بأسعار زهيدة، غير أنه يترتـب عليك أن تبيعنا روحك وتتخلى عن النضـال ضـد جميـع الأغنياء.

أما العامل الاشتراكي-الديموقراطي فإنه يقول: إذا كـانوا يبيعون فعلا بأسعار زهيدة، فلماذا لا نشترى طالما معنا مال: فتلك مسألة تجارية. أما فيما يتعلق بالروح، فينبغي ألا نبيعها أبدا.

إن التخلي عن النضال بالتحالف مع عمال المدن ضد كل البرجوازية إنما يعني البقاء أبدا فريسـة للبـؤس والعـوز. فالغني يكسب أكثر من ترخيص أسعار البضـائع، ويغتنـي أكثر. ولكن، من ليس عنده أبدا مال، لن يفيده الرخص أبـدا طالما لم ينتزع هذا المال من البرجوازية.

إليكم مثلا. إن أنصار البرجوازية يتبـاهون بتعاونيـاتهم (اتحاداتهم للشراء بأسعار زهيدة وللبيع بأسعار طيبـة). بـل ثمة من يزعمون أنهم "ثوريون-اشتراكيون" ويعلنون، علـى إثر البرجوازية، أن ما ينبغي بخاصة للفلاحين، إنمـا هـي التعاونيات. في روسيا أيضا، بدأ تنظيم التعاونيـات. ولكـن

عددها ما يزال قليلا جدا في بلادنا وسيبقى قليلا جدا طالما لم نظفر بالحرية السياسية. أما في ألمانيا، مثلا، فهنـاك عـدد طائل جدا من شتى أنواع التعاونيات بين الفلاحـين. ولكـن انظروا من تفيد هذه التعاونيات أكثر من غيرهم. في عمـوم ألمانيا، ١٤٠٠٠٠ ملاك ريفي منضمون إلى تعاونيات لبيـع الحليب ومنتجات الحليب. وهؤلاء الـ ـ ١٤٠٠٠٠ (ونأخـذ مرة أخرى أرقامـا مبسـطة لتبسـيط الأمـور) يملكـون ١١٠٠٠٠٠ بقرة. وفي عموم ألمانيا أربعة ملايـين فـلاح فقير، ٤٠٠٠٠ فقط منهم منضمون إلى تعاونيات: يـنجم إذا أن فلاحا واحدا من أصل مئة فلاح فقيـر يفيـد مـن هـذه التعاونيات وهؤلاء الفلاحون الفقراء الـ ٤٠٠٠٠ لا يملكون جميعا سـوى ١٠٠٠٠٠ بقـرة. ثـم إن عـدد الملاكـين المتوسطين، أي الفلاحين المتوسطين، يبلغ مليونـا واحـدا، يشترك ٥٠٠٠٠ منهم في التعاونيات (أي خمسة اشخاص من كل مئة)؛ وهم يملكون ٢٠٠٠٠٠ بقرة؛ واخيرا هناك، ثلـث مليون مستثمر غني (أي من ملاكين عقاريين وفلاحين أغنياء معا)، يشترك ٥٠٠٠٠ منهم في التعاونيات (أي سبعة عشـر شخصا من كل مئة)؛ وهم يملكون ٨٠٠٠٠٠ بقرة!

إلى هؤلاء الاغنياء، اليهم قبل كل شيء وفوق كل شيء، تمد التعاونيات يد المساعدة. هكذا يخدع الموجيك اولئك الذين يزعقون بانقاذ الفلاح المتوسط بوساطة شتى انواع الاتحادات للشراء برخص وللبيع باسعار طيبة. يقينـا ان البرجوازيـة تريد، بقليل من الكلفة، ان "تشترى" الموجيك وتنتزعـه مـن الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يدعون الفلاحين الفقـراء والفلاحين المتوسطين على السواء إلى الوقوف في جانبهم.

كذلك ينشئون عندنا جمعيات لصنع الجبنة ومراكز لجمع الحليب. وعديدون هم عندنا الذين يعلنون: ارتيلات و"ميرات" وجمعيات، هذا ما يحتاج اليه الموجيك. ولكن انظروا من تفيد هذه الارتيلات وهذه الجمعيات، وهذه التأجيرات المشـاعية. فمن كل مئة اسرة عندنا، عشرون اسرة على الاقل لا تملـك اية منها بقرة؛ وثلاثون اسرة تملك كل منها بقرة واحدة وهذه الاسر تبيع حليبها بدافع الفقر المدقع ولا يبقى ثمـة حليـب لاطفالها فيتضورون جوعا ويموتون كالذباب. اما الفلاحـون الاغنياء، فان كلا منهم يملك ثلاث بقرات أو اربع، أو اكثر، وهم يملكون جميعا نصف جميع البقرات الموجودة في حوزة الفلاحين. فمن تفيد اذا هذه الجمعيات لصـنع الجبنـة؟ اولا،

بالطبع، الملاكين العقاريين والبرجوازية الفلاحية. وبـديهي انهم يفيدون اذا ما تبعهم الفلاحون المتوسـطون والفلاحـون الفقراء، اذا ما اعتبر هؤلاء ان الوسيلة للخلاص من البـؤس ليست في نضال جميع العمال ضد مجمل البرجوازية، بل في ميل الملاكين المنفردين الصغار إلى التخاص من وضـعهم والارتقاء إلى مستوى الاغنياء.

وهذا الميل يدعمه ويشجعه بجميع الطرق جميع انصـار البرجوازية الذين يزعمون انهم اصـدقاء الفـلاح الصـغير وانصاره. وعديدون هم الناس السذج الذين لا يعرفون الذئب المتستر بثوب الحمل ويكررون الكذب البرجوازي، ظـانين انهم يفيدون بذلك الفلاح الصغير والفـلاح المتوسـط. فهـم يسعون، مثلا، إلى البرهـان فـي الكتـب والخطابـات ان الاستثمارة الصغيرة هى الافيد والأربح، وانها في ازدهـار؛ ولهذا، كما يزعمون، يوجد في كل مكان هذا العدد الكبير من الملاكين الصغار شديدي التعلـق بـالارض (لا لأن أجـود الاراضي هي في حوزة البرجوازي ولأن كل المال أيضا في حوزتها، بينما يتكدس الفلاحون الفقراء بعضهم فوق بعـض، ويكدحون طوال حياتهم على قطع صـغيرة مـن الارض!).

ويقول هؤلاء القوم ذوو الخطابات المعسولة : ليس الفـلاح الصغير بحاجة إلى كثير من المال؛ فالفلاح الصغير والفلاح المتوسط هما اكثر توفيرا واشد اجتهادا من الفـلاح الكبيـر؛ وكل منهما يعرف كيف يعيش بمزيد من التواضع : فبدلا من ان يشترى كمية اضافية من العلف للماشـية، يـدبر الامـر ببعض القش؛ وبدلا من ان يشترى آلة غالية الثمن، يـنهض باكرا، ويكدح مدة اطول ويشتغل جيدا كالآلة؛ وبدلا مـن ان يعطي المال للآخرين من اجل الاصـلاحات، يأخـذ بنفسـه الفأس يوم العيد ليقطع الخشب وينجر، - الامر الذي يكلـف أقل بكثير مما يكلف الفلاح الكبير، وبدلا من ان ينفق علـى حصان أو على ثور، يدبر الامر ببقرته لكي يحرث الارض؛ فان جميع الفلاحين الفقراء الألمان يحرثون الارض ببقراتهم؛ ثم ان البؤس بلغ حدا عندنا بدأت معـه حراثـة الارض لا بالبقرات وحسب بل بالبشر أيضا! ومـا افيـد هـذا! ومـا ارخصه! أليس ذلك عملا محمودا ان يكون الفلاح المتوسـط والفلاح الفقير على ما هما عليه من الاجتهـاد والانـدفاع، وانهما يعيشان حياة بسيطة جدا ولا يتلهيـان بالترهـات ولا يفكران بالاشتراكية، بل باستثمارتيهما فقط! انهما لا يسيران

على مثـال العمـال الـذين يشـنون الاضـطرابات ضـد البرجوازية، بل يسيران على مثال الاغنياء؛ ولـيس لـديهما سوى فكرة واحدة، هي ان يكونا من الناس الطيبين! فاذا كان كل امرئ بمثل الاندفاع وهذا الاجتهـاد، واذا عـاش حيـاة بسيطة واذا لم يسكر، واذا وفر مبلغا من المال اكثر قلـيلا، واذا انفق اقل على شراء شتى القطنيات، واذا انجب عددا اقل من الاولاد، حينذاك يعيش جميع الناس فـي البحبوحـة، ولا يبقى ثمة أي بؤس واي حرمان!

تلك هى الخطب المعسولة التي ترددها البرجوازية علـى مسامع الفلاح المتوسط. ومع ذلك، ثمة سذج يصدقون هـذه الخطب ويرددونها! * غير ان جميع هذه الخطب المعسـولة ليست في الواقع، الا خداعا للفلاح، الا ازدراء به. ان هؤلاء القوم الذين يلقون الخطب المعسولة يطلقون اسم الاسـتثمارة المفيدة الرخيصة التكاليف على البؤس، البؤس المدقع الـذى يدفع الفلاح المتوسط والفلاح الصغير إلى الشغل من الصباح حتى الليل، والى التوفير من كل لقمة خبـز، إلـى جرمـان النفس من انفاق أي مبلغ زهيد من المال. وبالفعل، هل ثمـة ما هو "أرخص"، و"أفيد" من لبس السـروال نفسـه ثـلاث

سنوات، من الحفى ايام الصيف، من شد المحراث الخشـبي بحبل هزيل، ومن اطعام البقرة القش العفن، المنـزوع عـن سقف البيت! فلو اعطينا أي برجوازي أو أي فلاح غني هذه الاستثمارة "الرخيصة" و"المفيدة"، لما طال به الامـر حتـى ينسى خطبه المعسولة!

إن الذين يطرون الاستثمارة الصغيرة يريدون احيانا تقديم خدمة للفلاحين، ولكنهم لا يحملون له، في الواقـع، سـوى الاذى. ان خطبهم المعسولة تخدع الموجيـك كمـا يخـدع اليانصيب الشعب.

سأقول لكم ما هو اليانصيب. عندي، مثلا، بقرة تسـاوي خمسين روبلا. واريد ان اطرح هـذه البقـرة باليانصـيب فاعرض على جميع الناس بطاقات ثمن كل منها روبل واحد. يمكن للمرء ان يربح البقرة لقاء روبل واحدا! ويقع الناس في شباك الاغراء، وتمطر الروبلات علي مدرارا. وحين اجمع مئة روبل، اسحب اليانصيب : فالرابح صاحب الحظ، يأخـذ البقرة لقاء روبل واحد، بينما يمضي الآخرون خاسرين. فهل ان هذه البقرة كلفت الشعب "رخيصا"؟ كلا، انها كلفت غاليـا جدا، لأن الناس دفعوا ضعفي ثمنها، لأن شخصين (الذي نظم

اليانصيب والذي ربح البقرة) قد اغتنيا دون أي جهـد علـى حساب تسعة وتسعين شخصا فقدوا مالهم. واذا كان الـزعم القائل بان اليانصيب يفيد الشعب، مجرد خداع للشعب. كذلك يخدع الفلاح اولئك الذين يعدونه بمعالجة بؤسه وحرماناتـه بوساطة شتى انواع التعاونيات (جمعيات للبيع باسعار طيبـة وللشراء باسعار رخيصة)، وشتى انواع الاتقانات الزراعية، والمصارف، الخ. وكما هو الحال في اليانصيب حيث الرابح واحد فقط، بينما يخسر الآخرون ما دفعوه، كذلك هي الحـال هنا: فان فلاحا متوسطا واحدا يدبر اموره ويصبح غنيا، بينما يكدح رفاقه التسعة والتسعون طوال حياتهم دون ان يتخلصوا من البؤس، بل انهم يزدادون خرابا على خراب. ليدرس كل ساكن من سكان الريف الحالة في قريته وكل ناحيتـه عـن قرب قريب : فهل ثمة كثيرون من الفلاحـين المتوسـطين يصبحون أغنياء وينسون البؤس؟ وكم هو عـدد الفلاحـين المتوسطين الذين لا يستطيعون التخاص من البـؤس طيلـة حياتهم؟ وكم هو عدد الذين يحل بهـم الخـراب ويهجـرون قراهم؟ فليس في عموم روسيا، كما رأينا، اكثر من مليـوني استثمارة تخص الفلاحين المتوسطين. لنفترض ان عدد شتى

الجمعيات للشراء باسعار رخيصة وللبيع باسعار طيبـة قـد ازداد عشرة اضعاف بالنسبة لما هو عليه في الوقت الراهن. فالام يؤدى ذلك؟ ان ١٠٠٠٠٠ فلاح متوسط، علـى اكبـر تقدير، سيبلغون مستوى الاغنياء. وماذا يعنى هذا؟ انه يعني ان خمسة من كل مئة فلاح متوسط قـد اغتنـوا. والخمسـة والتسعون الباقون؟ ان حياتهم صعبة كما من قبـل، بـل ان وطأة الحياة تشتد على الكثيرين منهم! اما الفلاحون الفقـراء فيشتد خرابهم! وطبيعى ان البرجوازية لا تطلب اكثر من ان يسعى اكبر عدد من الفلاحين المتوسطين والفلاحين الصغار إلى بلوغ مستوى الاغنياء، ومن ان يؤمنوا بامكانية الخلاص من البؤس دون النضال ضد البرجوازية، ومن ان يعتمـدوا على اجتهادهم، وكدهم وتقتيرهم، واثرائهم، لا على التحالف مع عمال الارياف والمدن. كما ان البرجوازية تبـذل كـل جهودها لتغذية هذا الايمان الكاذب وهذا الامل عند الموجيك؛ وهي تسعى لتخديره بخطب معسولة.

لأجل فضح كذب جميـع هـؤلاء النـاس ذوي الكـلام المعسول، يكفي ان نطرح عليهم اسئلة ثلاثة.

السؤال الاول : هل يستطيع الشعب العامل ان يتخلص من الحرمانات والبؤس عندما يكون مئة مليـون ديسياتين في روسيا من اصل مئتين واربعين مليون ديسياتين من الاراضي الجيدة، ملكـا للملاكين الخصوصيين؟ وعندما يحوز سـتة عشر الفا من كبار ملاكي الاراضي خمسـة وستين مليون ديسياتين من هـذه الاراضـي الجيدة؟

السؤال الثاني : هل يستطيع الشعب العامل ان يتخلص من الحرمانات والبؤس عنـدما تكـون مليـون ونصف مليون اسرة من الفلاحين الاغنيـاء (من اصل عشرة ملايين اسرة فلاحية) قـد استأثرت بنصف جميع الاراضي الفلاحيـة المزروعة، ونصف جميع الاحصنة الفلاحية ونصف كل المواشي الفلاحية، وبأكثر بكثير من نصف جميع الاحتياطيـات والتـوفيرات النقدية لدى الفلاحين؟ عنـدما تـزداد هـذ البرجوازية الفلاحية ثراء على الدوام، منيخة

بثقل على الفلاحين الفقـراء والمتوسـطين، جامعة الثروة من كدح الآخرين، من كـدح الاجراء الزراعيين والمياومين؟ عندما تكون ستة ملايين ونصف مليون اسرة تتألف مـن فلاحين فقراء حل بهم الخراب وابدا جائعين، ويحصلون على كسرة بائسة من الخبز بالقيام بشتى الاشغال المأجورة؟

السؤال الثالث. هل يستطيع الشعب العامل ان يـتخلص مـن الحرمانات والبؤس عندما يكون المال القـوة الرئيسية وعندما يمكن شـراء كـل شـيء بالمال: المصنع، والارض، بـل الكائنـات البشرية لتحويلها إلى اعمال اجـراء، إلـى ارقاء مأجورين؟ عندما لا يسـتطيع المـرء دون المـال، لا ان يعـيش ولا ان يسـتثمر حصته من الارض؟ عنـدما يترتـب علـى الملاك الصغير، الفقير، ان يناضـل ضـد المالك الكبير لكي يحصل على المال؟ عندما يكون عدة آلاف من الملاكـين العقـاريين،

والتجار، والصناعيين، واصحاب المصارف قد استأثروا بمئات الملايين مـن الـروبلات ويتصرفون، فوق ذلك، جميع المصارف التى تتجمع فيها آلاف الملايين من الروبلات؟

انه ليستحيل على المرء ان يتهرب من الاجابة على هـذه الاسئلة بخطب معسولة حول فوائد الاستثمارة الصـغيرة أو حول فوائد التعاونيات. فليس لهذه الاسئلة سوى جواب واحد، هو "التعاون" الحقيقي، الذي بوسعه انقاذ الشعب العامل، هـو التحالف بين الفلاحـين الفقـراء والعمـال الاشـتراكيين-الديموقراطيين في المدن من اجل النضال ضد البرجوازيـة برمتها. وكلما اتسع هذا التحالف ورسخ، كلما ادرك الفـلاح المتوسط بمزيد من السرعة كل كذب الوعود البرجوازيـة، كلما انضم الفلاح المتوسط إلى جانبنا بمزيد مـن السـرعة أيضا.

والبرجوازية تعرف ذلك، ولهذا فهي تلجأ، علاوة علـى الخطب المعسولة، إلى نشر الأكاذيب عـن الاشـتراكيين-الديموقراطيين. فهي تزعم ان الاشتراكيين-الـديموقراطيين يريدون ان ينتزعوا ملكية الفلاح المتوسط والفلاح الصغير.

هذا كذب. ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يريون ان ينتزعوا فقط ملكية كبار المستثمرين، فقط ملكية الذين يعيشـون مـن عمل الآخرين. ان الاشتراكيين-الديموقراطيين لن ينتزعـوا ابدا ملكية الملاكين الصغار والمتوسطين الذين لا يستخدمون عمالا اجراء. ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يدافعون عـن مصالح الشعب العامل بأسره ويحافظون عليها، ولا يقصدون بذلك فقط مصالح عمال المدن الذين هم أكثر وعيا واتحـادا من الآخرين. بل أيضا مصالح عمـال الاريـاف، وكـذلك مصالح الفلاحين وصغار الحرفيين، اذا كانوا لا يسـتخدمون عمالا ولا يسعون للارتقاء إلى مستوى الاغنياء، وللوقـوف إلى جانب البرجوازية. ان الاشتراكيين-الديموقراطيين انمـا يخوضون النضال لكي يؤمنوا للعمـال والفلاحـين جميـع التحسينات التي يمكن تحقيقها حالا، ما دمنا لم نحطـم بعـد سيادة البرجوازية، والتـي ستسـهل هـذا النضـال ضـد البرجوازية. ولكن الاشتراكيين-الديموقراطيين لا يخـدعون الفلاح، بل يقولون له كل الحقيقة، انهم يعلنون سـلفا وبكـل صراحة ان ليس ثمة اية تحسينات بوسعها انتشال الشعب من لجة العوز والبؤس، مادامت سيادة البرجوازية. ولكي يعرف

الشعب بأسره من هم الاشتراكيون-الـديموقراطيون ومـاذا يريدون، وضع الاشتراكيون-الديموقراطيون برنـامجهم. ان البرنامج هو عبارة عن بيان موجز وواضح ودقيق عن كـل ما يريد الحزب بلوغه وعن كل ما يناضل فـي سـبيله. ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي هو الحزب الوحيـد الـذي صاغ برنامجا واضحا ودقيقا لكي يعرفه الشعب كله ويـراه، لكي لا يضم الحزب سوى اناس يرغبون حقا فـي خـوض النضال من اجل تحرير كـل الشـعب العامـل مـن نيـر البرجوازية، اناس يدركون تماما من هم الذين يجب عليهم ان يتحدوا في سبيل خوض هذا النضال، وكيف ينبغي خـوض هذا النضال. وفوق ذلك، يرى الاشتراكيون-الـديموقراطيون انه ينبغي على الحزب ان يوضح فـي برنامجـه، بصـورة جلية، وعلنا، وبدقة، مصدر حرمانات الشعب العامل وبؤسه ولماذا يتسع اتحاد العمال ويزداد شدة وقوة. فـلا يكفـي ان نعلن ان الحياة صعبة وان ندعو إلى التمرد؛ فان أي ثرثـار يعرف كيف يفعل ذلك، ولكن دون فائدة كبيـرة. ينبغـي ان يدرك الشعب العامل كل الادراك سبب تعاسته ومع من ينبغي عليه ان يتحد للنضال في سبيل الخلاص من البؤس.

لقد قلنا ما يريده الاشتراكيون-الديموقراطيون، ومن ايـن تتأتى حرمانات الشعب العامل وبؤسه، وضد من ينبغي على الفلاحين الفقراء ان يناضلوا ومع من ينبغي عليهم ان يتحدوا في سبيل القيام بهذا النضال. والآن سنبين اية تحسينات فـي حياة العمال وفي حياة الفلاحين نستطيع ان نظفر بهـا الآن، بفضل هذا النضال.

(٥) أية تحسينات يريد الاشتراكيون الديموقراطيون تحقيقها من أجل الشعب كله ومن أجل العمال؟

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يناضـلون فـي سـبيل تحرير الشعب العامل بأسره من كل نهب، وكل ظلم، وكـل تعسف. ولكي تتحرر الطبقة العاملة، يتعين عليها قبـل كـل شي ان تتحد. ولهذا الغرض ينبغي ان تتـوافر لهـا حريـة التجمع، وحق التجمع، ينبغي ان تتوافر لها الحرية السياسية. لقد سبق ان قلنا ان الحكم الاوتوقراطى انما هو اذلال الشعب من قبل الموظفين والبوليس. فالحرية السياسية ضرورية اذن لكل الشعب، عدا قبضة من حاشية القصر وكبـار اصـحاب المرتب وكبار ذوي النفوذ الذين يلجون ابواب القصر. ولكن الحرية السياسية ضرورية بوجه خاص للعمال والفلاحـين. فالاغنياء يستطيعون انقاذ انفسهم بالمال من تعسف الموظفين والبوليس وطغيانهم. وبوسعهم ان يرتقوا اعلـى الـدرجات لرفع شكاواهم. ولذا يسـمح رجـال البـوليس والموظفـون

لانفسهم بمماحكة الاغنياء اقل بكثير جدا من مماحكة الفقراء. وليس لدى العمال والفلاحـين مـا يرشـون بـه البـوليس والموظفين، وليس لهم من يقدمون له شكاواهم، وليس لـديهم اية وسيلة للدفاع عن عن انفسهم امام المحاكم. ولن يستطيعوا ابدا التخلص من طغيان البـوليس والمـوظفين وتعسـفهم ونهبهم وسلبهم طالما لا تقوم في الدولـة حكومـة منتخبـة، وجمعية نواب شعبية. وهذه الجمعية هي وحدها التي تستطيع انقاذ الشعب من استذلال الموظفين له. وعلى كل فلاح مدرك ان يقف الى جانب الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين يطالبون الحكومة القيصرية قبل كل شيئ وفوق كل شيء بعقد جمعية شعبية من النواب.

ينبغي على جميع الناس دون تمييز في الفئة الاجتماعية التي اليها ينتسبون، دون تمييز بين الاغنياء والفقـراء ان ينتخبـوا النواب. ينبغي ان يكون الانتخاب حرا دون اية عقبة من جانب الموظفين، ينبغي ان يعهد بالسهر على سير الانتخابـات الـى رجال ثقة، لا الى افراد البوليس في القضاء، ولا الى رؤسـاء الاقضية(٧). وفي هذه الحال، يستطيع نواب الشـعب بأسـره بحث كل حاجات الشعب واقامة نظام أفضل في روسيا.

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بمنع البوليس من سجن اي كان دون محاكمة. ينبغي معاقبة الموظفين بصرامة اذا ما عمدوا الى الاعتقال الكيفي. ان الموظفين يتصـرفون كما يطيب لهم، على هواهم، فلأجل وضع حد لتصرفهم هذا، ينبغي العمل بصورة ينتخبهم معها الشعب بنفسـه، بصـورة يحق معها لأي كان تقديم الشكوى مباشرة الى المحكمة ضد اي كان من الموظفين. والا، فما الفائدة من تقـديم الشـكوى ضد احد افراد البوليس الريفي الى رئيس القضاء، او ضـد رئيس القضاء الى الحاكم؟ غني عن البيان ان رئيس القضاء لن يلقي المسؤولية على رجل البوليس، وان الحاكم لن يلقـي المسؤولية بدوره على رئيس القضاء، بل ان الشاكي هو الذي سيتحمل وزر شكواه. فيزجونـه بالسـجن أو ينفونـه الـى سيبيريا. ولن يأخذ الخوف اى مأخذ من الموظفين الا عندما يصبح في روسيا (كما في جميع الدول الاخرى) من حق كل فرد تقديم الشكوى الى الجمعيـة الشـعبية، الـى المحكمـة المنتخبة، وعرض حاجاته بكـل حريـة، أو نشـرها فـي الصحف.

ان الشعب الروسي يخضع حتى الآن لتبعيـة ذليلـة ازاء الموظفين.

فبدون اذنهم، لا يحق له تنظـيم الاجتماعـات ولا نشـر الكتب او الصحف! أليس في ذلك تبعية ذليلـة؟ فـاذا كـان ممنوعا تنظيم الاجتماعات العلنية ونشر الكتب العلنية، فكيف العمل لكبح جماح الموظفين والاغنيـاء؟ وبـالطبع، يمنـع الموظفون كل كتاب حقيقي صادق، كل كلمة حقيقية صـادقة عن بؤس الشعب. وهذا الكتاب بالضبط هو الذي يترتب على الحزب الاشتراكي-الديموقراطي طبعه سرا وتوزيعه ونشره سرا؛ وكل من يجدون عنده هذا الكتاب سيساق امام المحاكم والى السجن. ولكن العمال الاشـتراكيين-الـديموقراطيين لا يخافون المحاكم ولا السجون، وهم يطبعون أكثر فاكثر على الدوام الكتب الحقيقية الصادقة للشـعب، ويوزعونهـا اكثـر فأكثر على الدوام.

وليس ثمة سجن ولا قمع بوسعهما ان يضعا حدا للنضال في سبيل حرية الشعب!

ان الاشتراكيين - الديموقراطيين يطالبون بالغاء امتيازات الفئات الاجتماعية، بمساواة جميع مواطني الدولة مساواة تامة في الحقوق. ففي بلادنا الآن فئات تتحمل الضرائب وفئـات اخرى لا تتحملها، في بلادنا مميزون وغير مميزين، وفـي بلادنا نبلاء وعامة؛ بل ما يزال عقاب الجلـد معمـولا بـه ويطبق على عامة الشعب. وليس ثمة في اي بلد من البلـدان قوانين مختلفة لمختلف الفئات، الا في روسـيا. لقـد حـان للشعب الروسي ان يطالب بان يكون للموجيك جميع حقـوق النبيل نفسها. أليس من العار ان يظل معمولا بعقـاب الجلـد بعد مضي اربعين سنة ونيف على الغاء القنانـة وان يكـون هناك فئة خاصة تخضع وحدها للضريبة؟

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بمـنح الشـعب الحرية التامة في التنقل وفي اختيار المهن والصنع. ومـاذا تعنى حرية التنقل؟

انها تعنى ان يكون الفلاح حرا في الـ ذهاب الـى حيـث يشاء، والاقامة حيث يطيب له، واختيار اية قرية من القـرى أو اية مدينة من المدن، دون ان يطلب الاذن من اي كـان. انها تعني إلغاء جوازات السفر في روسيا أيضا (فقد الغيـت منذ زمن بعيد في البلدان الاخرى)؛ ينبغي الا يكون لأي فرد من افراد البوليس الريفي او لأي رئيس من رؤساء الاقضية الحق بمنع اي فلاح كان من السكن والشغل حيث يطيب له.

ان الموجيك الروسي ما يزال خاضعا للموظفين الى حـد انه لا يستطيع المضي الى المدينة والاقامة فيها ولا الانتقـال الى ارض اخرى والاقامة فيها بحرية. والوزير يأمر حكـام المقاطعات بمنع الهجرات غير المسموح بها! فالحاكم يعرف احسن من الموجيك الى اين ينبغي ان يمضي الموجيك! فليس الموجيك سوى طفل صغير، ممنوع عليـه ان يخطـو ايـة خطوة دون موافقة ولاة الشأن! أليس هذا تبعيـة ذليلـة؟ ألا يعني هذا الهزء من الشعب، عندما يكون لأي نبيل صـغير مفلس حق التأمر بالمزارعين الراشدين؟

هناك كتاب اسمه "الموسم الرديء والكارثة الشعبية" (المجاعة)، كتبه "وزير الزراعة" الحالي، السيد ييرمولوف. وقد جاء فيه بوضوح ما يلي: ينبغي الا ينتقل الموجيك من مكانه الى مكان آخر حين يكون السادة الملاكون العقاريون بحاجة الى الايدي العاملة. ان الوزير يتكلم بصراحة، وعلنا، ودون حياء، وهو يظن ان الموجيك لن يسمع اقواله هذه، وانه لن يفهمها. لماذا نسمح للجميع بالنزوح عن قراهم حين يكون السادة الملاكون بحاجة الى الايدي العاملة الرخيصة؟ وكلما اشتد ضيق الشعب، كان ذلك في مصلحة الملاكين العقاريين، وكلما تفاقم البؤس، اضطر الفلاحون الى العمل باجور ارخص وتحملوا شتى ألوان الظلم بمزيد من الخضوع. فيما مضى كان الوكلاء هم الذين يسهرون على مصلحة السيد؛ اما الآن، فهم رؤساء الاقضية والحكام. فيما مضى، كان الوكلاء هم الذين يقررون تطبيق الجلد بالسوط في الاسطبل، اما الآن فهم رؤساء الاقضية الذين يأمرون بالجلد بالسوط في مكتب الناحية.

ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطالبون بالغاء الجيش الدائم، والاستعاضة عنه بنظام الميليشيا الشعبية، لكي يكون الشعب كله مسلحا.

ان الجيش الدائم انما هو جيش منفصـل عـن الشـعب، يعدونه لاطلاق النار على الشعب. فاذا كـانوا لا يحشـرون الجندي سنوات في الثكنة واذا كانوا لا يدربونه بصورة غير انسانية، فهل كان بوسع الجندي ان يطلق الرصـاص علـى اخوانه، على العمال والفلاحين؟ وهل كان بوسع الجنـدي ان يمشي ضد الفلاحين الجياع؟ لأجل الدفاع عن الدولـة ضـد هجمات العدو، ليس هناك ابدا حاجة لجيش دائم؛ فالميليشـيا الشعبية وحدها تكفي. فاذا كان كل مواطن من مواطني الدولة مسلحا، فليس لروسيا ان تخشى اي عدو من الاعداء، كـذلك يتخلص الشعب من نير العسكرية : فالدولة تنفق على الجيش مئات الملايين من الروبلات كل سنة، وهذا المال انما تقتطعه من الشعب، ولذا بلغت الضرائب هذا الحـد مـن الفداحـة، وتفاقمت مصاعب الحياة يوما بعد يوم. ان العسكرية تقـوي أيضا من سلطة الموظفين والبوليس على الشعب وهي وسيلة لنهب الشعوب الاخرى، هي وسيلة، مثلا، لانتـزاع الارض من الصينيين. وحياة الشعب لا تصبح أسهل مما هي عليـه بسبب العسكرية، بل تزداد صعوبة مـن جـراء الضـرائب الجديدة التي تتطلبها العسكرية. ان استبدال تسليح الشعب كله بالجيش الدائم من شأنه ان يسهل حياة جميع العمال وجميـع الفلاحين الى حد كبير جدا.

كذلك من شأن الغاء الضرائب غير المباشر الذى يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون تحقيقه، ان يسهل حياة العمال والفلاحين الى حد كبير جدا. ان الضرائب غير المباشرة هي الضرائب التي لا تستوفى مباشرة على الارض أو على الاستثمارة الريفية؛ انما يؤديها الشعب بصورة غير مباشرة عن طريق رفع اسعار البضائع. فان الدولة تفرض الضرائب على السكر، والفودكا، والكاز، والكبريت، وجميع سلع الاستهلاك الاخرى، وهذه الضرائب يدفعها التاجر أو الصناعي للدولة، لا من ماله الشخصي، طبعا، بل من المال الذي يدفعه له الشارون. ولذا يزداد سعر الفودكا، والسكر، والكاز، والكبريت، وكل من يشتري زجاجة فودكا أو رطلا من السكر لا يدفع فقط ثمن البضاعة، بل يدفع أيضا الضرائب المترتبة عليها. مثلا، اذا دفعت، لنقل، اربعة عشر كوبيكا ثمنا لرطل من السكر، فان اربعة كوبيكات منها (تقريبا) تذهب الى الخزينة ضريبة؛ لقد سبق لصاحب مصنع السكر ان دفع هذه الضريبة الى الخزين وها هو الآن يقتطع من كل شار هذا المبلغ الذى دفعه. وهكذا فان الضرائب غير المباشرة هي الضرائب التي تستوفى من ثمن حاجيات الاستهلاك والتي يدفعها الشاري عن طريق زيادة سعر

البضاعة. يقال احيانا ان الضرائب غير المباشرة هي أعـدل الضرائب. فالشاري يدفع حسب الكمية التي يشتريها. ولكـن ذلك كذب. فالضرائب غير المباشرة هي اقل الضرائب عدلا، لأن الفقراء يتضايقون اكثر من الاغنياء عند دفعه. فان دخل الغني هو ارفع من دخل الفلاح او العامل بعشرة اضـعاف، هذا اذا لم يكن ارفع منه بمئة ضعف. ولكن هـل ان الغنـي يستهلك من السكر مئة ضعف ما يستهلكه العامل والفـلاح؟ ومن الفودكا أو الكبريت، عشرة اضعاف؟ او من الكاز؟ كلا، طبعا. ان اسرة غنية تشتري من الكـاز والفودكـا والسـكر ضعفي ما تشتريه اسرة فقيرة، او ثلاثة اضعاف على الاكثر. وهذا يعني ان الغني يدفع من دخله ضريبة للدولة نصيبا أقل من النصيب الذي يدفعه الفقير من دخلـه ضـريبة للدولـة. ولنفترض ان دخل الفلاح الفقيـر مـائتي روبـل بالسـنة؛ ولنفترض انه يشتري بستين روبلا كمية من البضائع التـي تخضع للضريبة والتي يزداد سعرها من جراء ذلك (فالسكر والكبريت والكاز تخضع لضريبة تسمى رسم الانتاج اي ان المنتج يدفع الضريبة قبل بيع البضاعة في السوق؛ اما الفودكا التي تنتجها ادارة حصر المشروبات، فان الدولة نفسها ترفع اسعارها، وفيما يتعلق بالقطنيات والحديد وسـائر البضـائع،

فان اسعارها تزداد، لأن البضائع الرخيصة المستوردة مـن الخارج لا تستطيع الدخول الى روسـيا دون دفـع رسـوم عالية). فمن اصل هذه الروبلات الستين، عشـرون روبـلا تشكل الضريبة ولذا يدفع الفقير عشرة كوبيكـات مـن كـل روبل من دخله بشكل ضرائب غير مباشـرة؛ (هـذا عـدا الضرائب المباشرة، وتعويضات شراء الارض، والاتـاوات النقديـة، والضـرائب الزراعيـة للزيمسـتفو، والناحيـة والمشاعية). اما الفلاح الغني، فان دخله يبلغ الـف روبـل، وهو يشتري بمئة وخمسين روبلا كمية من البضـائع التـي تخضع للضريبة. فيدفع خمسين روبلا كضريبة (من اصـل هذه الروبلات المائة والخمسين). ولذا لا يدفع الغني ضريبة غير مباشرة من كل روبل من دخله سوى خمسة كوبيكـات. وكلما ازداد غناه، قل ما يدفعه مـن دخلـه ضـريبة غيـر مباشرة. ولذا كانت الضرائب غير المباشرة اقل الضـرائب عدلا. فان الضرائب غير المباشرة هـي الضـرائب التـي تصيب الفقراء. والفلاحون والعمال يشكلون معا تسعة اعشار مجموع السكان، وهم يدفعون تسعة اعشار أو ثمانية اعشـار الضرائب غير المباشرة كلها. بينمـا لا يحصـل الفلاحـون والعمال، بلا ريب، على اكثر من اربعة اعشار مجمل الدخل

في البلاد! ولهذا يطالب الاشتراكيون-الديموقراطيون بالغاء الضرائب غير المباشرة وبفرض ضريبة تصاعدية على الدخل والارث. وهذا يعني انه ينبغي ان تزداد الضريبة بقدر ما يزداد الدخل. فمن بلغ دخله الف روبل، ترتب عليه ان يدفع كوبيكا واحدا عن كل روبل؛ ومن بلغ دخله الفي روبل ترتب عليه ان يدفع كوبيكين، الخ. أما الايرادات الصغيرة (التي لا تتجاوز، مثلا، مبلغ اربعمائة روبل)، فلا ينبغي ان تدفع اية ضريبة. واما كبار الاغنياء فيترتب عليهم ان يدفعوا ضرائب باهظة. ان هذه الضريبة المسماة ضريبة الدخل أو بالاصح، الضريبة التصاعدية على الدخل، هي اعدل بكثير من الضرائب غير المباشرة. ولهذا يسعى الاشتراكيون-الديموقراطيون الى الغاء الضرائب غير المباشرة والى فرض ضريبة تصاعدية على الدخل. بيد انه غني عن البيان ان جميع الملاكين، كل البرجوازية، لا يريدون ذلك ويعارضونه. ان التحالف الوطيد بين الفلاحين الفقراء وعمال المدن هو وحده الذي يستطيع ان ينتزع هذا التحسين من البرجوازية.

واخيرا، ثمة تحسين على درجة بالغة من الاهمية بالنسبة لمجمل الشعب، ولا سيما بالنسبة لفقراء الريف، هو التعلـيم المجاني للاطفال، وهـو مـا يطالـب بـه الاشـتراكيون-الديموقراطيون. ففي الوقت الحاضر، يوجد في الريف عـدد من المدارس اقل بكثير من عددها في المدن، هذا مع العلـم ان الطبقات الغنية، ان البرجوازية وحدها، هي التي تتـوافر لها في كل مكان امكانية تأمين تعليم جيد لابنائها. فقط التعليم المجاني الالزامي لجميع الاطفال سيحرر الشعب وان جزئيا من الجهل الحالي.

والحال، ان الفلاحين الفقراء يعانون بخاصة وطـأة هـذا الجهل، وهم بحاجة ماسة الى التعليم. بيد انه يقتضـي لنـا، بالطبع، تعليم حقيقي حر، لا التعليم الذى يريـده الموظفـون والكهنة.

ثم ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يطلبون لكـل انسـان الحق المطلق بان يعتنق بكل حرية الدين الذي يريـده. فقـط روسيا وتركيا، بين الدول الاوروبيـة، احتفظتـا بـالقوانين المخزية ضد الذين هم من دين آخر، غير الارثوذكسى، ضد المنشقين، واصحاب الملل الخاصـة، واليهـود. فـان هـذه

القوانين تمنع صراحة هذا الدين أو ذاك، أو تمنع نشـره، أو انها تحرم من بعض الحقوق الناس الذين ينتسبون الى هـذا الدين او ذاك. ان جميع هذه القوانين هي اشد القوانين ظلمـا وتعنتا وخزيا. ينبغي ان يكون لكل امرىء الحريـة التامـة باعتناق الدين الذى يريد، كما ينبغي ان يكون له أيضا الحرية التامة بنشره أو باعتناق دين آخر. وما من موظف ينبغي ان يكون له الحق سؤال اي كان من الناس عـن الـدين الـذي يعتنق. فتلك مسألة ضمير لا يحق لأي احد ان يتدخل فيهـا. ينبغي الا يكون هناك اي دين "سائد" او اية كنيسة "سائدة". بل ينبغي ان تكون جميع الاديان وجميع الكنائس متساوية امـام القانون. وينبغي ألا يعيش رجال الدين من جميع الطوائف إلا على حساب الذين ينتمون الى طوائفهم، ولا ينبغي للدولة ان تمول، بالاموال العامة، اي دين أو اي رجل دين، سواء أكان ارثوذكسيا، أم منشقا، أم من ملة خاصة، أم غير ذلك. وفـي سبيل هذا يناضل الاشتراكيون-الديموقراطيون، وطالمـا لا يصار الى تطبيق هـذه التـدابير دون اي تحفـظ ودون اي تهرب، فان الشعب لن يكون في مأمن مـن الاضـطهادات البوليسية المخزية بسبب الدين، ولا من الحسنات والتبرعات البوليسية، المخزية أيضا، لأهل هذا الدين او ذاك.

لقد بحثنا في التحسـينات التـى يسـعى الاشـتراكيون-الديموقراطيون الى تحقيقها لما فيه خير الشـعب كلـه، ولا سيما الفلاحون الفقراء.

لنر الآن اية تحسينات يجهدون لتحقيقها من اجل العمـال، لا عمال المصانع والمدن وحسب، بل عمال الارياف أيضا. ان عمال المصانع والمعامل يعيشون في ضيق أشد، مكدسين بعضهم فوق بعض بصورة أشد، وهم يشتغلون في مشـاغل كبيرة؛ ولذا كان من الأسهل عليهم الافادة من العـون الـذي يسديه اليهم الاشتراكيون-الديموقراطيون المثقفون. لجميـع هذه الاسباب، بدأ عمال المدن، قبل غيرهم بكثير، النضـال ضد ارباب العمل، وحصلوا على تحسينات اهم بكثير. بـل حصلوا على سن قـوانين عماليـة. ولكـن الاشـتراكيين-الديموقراطيين يناضلون في سبيل تحقيق التحسينات نفسـها لجميع العمال: الحرفيين الصغار الذين يشتغلون في بيـوتهم لحساب ارباب العمل، في المدن كما في القـرى، والعمـال الاجراء الذين يشتغلون عند صـغار الحـرفيين والصـناع، وعمال البناء (النجارين، والبنائين، الخ.)، وعمـال الغابـات والفعلة، والعمال الزراعيين على حد سواء. ان جميع هؤلاء

العمال بدأوا يتحدون منذ الآن في عموم روسيا، علـى اثـر عمال المصنع وبمساعدتهم، وهم يتحدون للنضال من اجـل شروط حياة افضل، من اجل يوم عمل اقصر، من اجل اجر ارفع. ان الحزب الاشتراكي-الديموقراطي يأخذ على نفسـه مهمة مساندة جميع العمال في نضالهم من اجل حياة افضل، ومساعدتهم في تنظيم (حشد) اشد العمال ثقـة وحزمـا فـي اتحادات قوية، واعانتهم عن طريق توزيع الكتب والمناشـير بينهم وارسال العمال المجربين الى العمال غير المجـربين، ومساعدتهم، بوجه عام، بجميع الوسائل الممكنـة، وعنـدما نظفر بالحرية السياسية، سيكون لنا أيضا في جمعية النـواب الشعبية، رجال لنا، سيكون لنا نواب عمـال، اشـتراكيون-ديموقراطيون يعمدون، مثل رفاقهم في البلدان الاخرى، الى المطالبة بسن قوانين في صالح العمال.

لن نعدد هنا جميـع التحسـينات التـي يريـد الحـزب الاشتراكي-الديموقراطي تحقيقها في صالح العمـال: فهـذه التحسينات معروضة في البرنـامج، ومشـروحه بصـورة مفصلة جدا في كراس "قضية العمال في روسيا". نكتفي الآن بذكر التحسينات الرئيسية. ينبغي ألا يتجاوز يوم العمل ثماني ساعات في اليوم. ينبغي دائما تكريس يوم واحد في الاسبوع للراحة. ينبغي منع ساعات العمل الاضافي منعا تاما، وكذلك العمل الليلي. ينبغي ان يكون تعلـيم الاولاد مجانيـا حتـى السادسة عشرة من العمر. ولذا ينبغي عدم تشغيل الذين لـم يبلغوا هذه السن كعمال اجراء. ينبغي عدم تشغيل النساء في الاشغال التي تضر بصحتهن. ينبغي على رب العمل ان يدفع تعويضا للعمال الذين يصابون بطوارئ العمل اثناء العمـل، مثلا، الطوارئ التي تحدث للذين يشتغلون على الدراسـات، على المذاري الخ. ينبغي دفع الاجور لجميع العمال الاجراء ودفعها دائما مرة في الاسبوع، لا مرة واحدة كل شهرين أو ثلاثة اشهر، كما يحدث غالبا للذين يقومون باشغال الحقول. فالعمال يهمهم كثيرا ان يقبضوا اجرتهم بانتظام، مـرة فـي الاسبوع، ونقدا فقط، لا بضاعة. فارباب العمل يحبون كثيرا

ان يفرضوا على العمال، على حساب اجورهم، شتى انـواع السلع الرديئة التي تزيد اسعارها ثلاثة اضعاف، فلأجل وضع حد لهذه الفضيحة، ينبغي اطلاقا ان يمنع القانون دفع اجـور العمال عينا. ثم انه ينبغى ان يتقاضى العمال المسنون راتبـا تقاعديا من الدولة. فان العمال يعيلون بعملهم كـل الطبقـات الغنية والدولة برمتها : ولذا كان حقهم في الراتب التقاعـدي لا يقل عن حق الموظفين الذين يفيدون من هذا الراتب. ولكي لا يعمد ارباب العمل الى استغلال وضعهم وبمخالفة الانظمة المقررة لصالح العمال، ينبغي تعيين مفتشين، لا للاشـراف على المصانع وحسب، بل للاشراف أيضا على الاستثمارات العقارية الكبيرة، وللاشـراف بوجـه عـام علـى جميـع المشروعات التي تستخدم عمال اجراء. غير انه ينبغـي ألا يكون هؤلاء المفتشون موظفين، يعينهم الوزراء او الحكـام والا يكونوا في خدمة البوليس. انما ينبغي ان يكون المفتشون عمالا منتخبين، وينبغي على الدولة ان تدفع اجرا للذين يثـق بهم العمال ويختارونهم بكل حرية. وينبغـي علـى هـؤلاء النواب العمال ان يحرصوا أيضا علـى ان تكـون مسـاكن العمال حسنة الترتيب، وعلى ألا يعمد اربـاب العمـل الـى

اسكان العمال في اكواخ تشبه زرائب الكلاب أو في اكـواخ ترابية (كما يحدث غالبا في اثناء اشغال الحقول)، وعلـى ان يصار الى التقيد بنظام راحة العمل، الخ.. ولكنه ينبغي عـدم النسيان انه لن تكون ثمة اية جدوى من النواب الذين ينتخبهم العمال ما دامت الحرية السياسية غيـر متـوافرة ومـا دام البوليس كلي الجبروت وغير مسؤول امام الشعب. ان جميع الناس يعرفون ان البوليس يعتقل الآن النواب العمال دون اية محاكمة، بل يعتقل أيضا كل عامل يجرؤ على التحدث باسـم الجميع، وعلى فضح انتهاك القانون، وعلى دعوة العمال الى الاتحاد. ولكن النواب العمال سيؤدون خدمـة جلـى عنـدما تتوافر لنا الحرية السياسية.

ينبغي منع جميع اصحاب العمل (من صناعيين، وملاكين عقاريين، ومتعهدي اشغال، وفلاحين اغنياء) منعا مطلقا عن اجراء اية حسومات على هواهم من اجور العمال، كـاجراء حسومات لسبب سوء الصنعة وحسومات بشـكل غرامـات، الخ. فعندما يعمد ارباب العمل، على هـواهم، الـى اجـراء حسومات من اجور العمال، فانهم يخالفون القانون، ويرتكبون عملا تعسفيا. ينبغي عدم السماح لرب العمل بتخفيض اجور

العمال، باية حجة كانت، ولا باي حسم كان. ينبغي ألا يكون رب العمل قاضيا أيضا. ويا له من قاض ممتاز هـذا الـذي يضع في جيبه الحسومات من اجرة العامل!)، انمـا ينبغـي الرجوع الى محكمة حقيقية، وهذه المحكمة ينبغـي اختيـار اعضائها من بين العمال وارباب العمل على قدم المسـاواة. فقط مثل هذه المحاكم تستطيع ان تحكم، بانصـاف، بجميـع دواعي استياء ارباب العمل من العمال وبجميع دواعي استياء العمال من ارباب العمل.

تلـك هـي التحسـينات التـي يريـد الاشـتراكيون-الديموقراطيون ان يصار الى تحقيقها فـي صـالح الطبقـة العاملة بأسرها. ففي كل استثمارة عقاريـة، فـي اسـتثمارة كبيرة، وعند كل متعهد، ينبغي على العمال ان يدرسوا معا، ومع اهل الثقة، اية تحسينات ينبغي النضال من اجلها، وايـة مطالب ينبغي تقديمها (ان مطالب العمال لن تكون، بـالطبع، متماثلة في مختلف المصانع وفـي مختلـف الاسـتثمارات العقارية الكبيرة، وعند مختلف المتعهدين).

ان اللجان الاشتراكية-الديموقراطية تساعد عمال روسـيا كلها على صياغة مطالبهم بصورة واضحة دقيقة، على اصدار المناشير المطبوعة التي تعرض هذه المطالب، لكـي يطلـع عليها جميع العمال، وارباب العمل، وولاة الشـأن. وعنـدما يكافح العمال معا، كرجل واحد، في سبيل مطالبهم، فان ارباب العمل يضطرون للتراجع وللقبول بمطالـب العمـال، بهـذه الوسيلة حصل عمال المدن على العديد من التحسينات. وها ان الحرفيين الصغار، وشتى اصحاب المهن اليدويـة، والعمـال الزراعيين، اخذوا يتحدون الآن (ينتظمون) ويناضـلون فـي سبيل مطالبهم. وما دمنا لا نتمتع بالحريـة السياسـية، فاننـا نناضل في السر، متسترين عن البوليس الذي يمنع المناشـير والجمعيات العمالية، على انواعها. ولكن، عندما نظفر بالحرية السياسية، فاننا سنواصل هذا النضال على نطاق أوسع وعلنا، امام رؤوس الاشهاد، لكي يتحد الشعب العامل كله في عمـوم روسيا ويدافع عن نفسه بمزيد من التضامن ضد الظلم. وكلما ازداد عدد العمال في صفوف حـزب العمـال الاشـتراكي-الديموقراطي، تعاظمت قوتهم وتوصلوا بمزيد من السرعة الى تحرير الطبقة العاملة تحريرا تاما من كل ظلم، من كل عمـل مأجور، من كل عمل في صالح البرجوازية.

لقد قلنا ان حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي يعمـل في سبيل تحقيق تحسينات، لا للعمال وحسب، بـل لجميـع الفلاحين أيضا. لنر الآن ما هي التحسـينات التـى يجهـد للحصول عليها من اجل جميع الفلاحين.

(٦) أية تحسينات يجهد الاشتراكيون الديموقراطيون للحصول عليها من أجل جميع الفلاحين؟

من أجل تحرير جميع الشغيلة تحريرا تاما، ينبغي علـى الفلاحين الفقراء أن يعمدوا، بالتحالف مع عمال المدن، إلـى خوض النضال ضد البرجوازية برمتها، بمن فيها الفلاحـون الأغنياء. إن الفلاحين الأغنيـاء يرغبـون فـي أن يـدفعوا لأجرائهم أقل ويجبروهم على العمل مدة أطـول وبصـورة أشق. بينما يجهد عمال المدن والأرياف لكي يحصل الأجراء الذين يشتغلون عند الفلاحين الأغنياء على أجرة أحسن ولكي يكون عملهم أقل ضنى، ولكي يحصلوا على الراحـة. ولـذا ينبغي على الفلاحين الفقراء أن يؤلفوا جمعيات خاصة بهـم، لا يشترك فيها الفلاحون الأغنياء، – وقد سبق أن تحدثنا بهذا الصدد. ولن نكف عن ترديد أقوالنا.

ولكن الفلاحين، جميع الفلاحين، الأغنياء منهم والفقراء، ما يزالون في روسيا أقنانا من نواح عديدة كما في الماضي: فهم يشكلون الفئة الدنيا، السوداء، الفئة التي تحمل الضرائب. إنهم كلهم خاضعون لموظفي البوليس ولرؤساء الأقضية الريفية، وكلهم يشتغلون في معظم الأحيان، كما في الماضي، لحساب السيد الملاك العقاري لقاء حق استثمار الأراضي، لحساب السيد الملاك العقاري لقاء حق استثمار الأراضي المنتزعة سابقا من الفلاحين، لقاء مسقى الماشية، لقاء مرعى الماشية، لقاء المرج، تماما كما كانوا يشتغلون للسيد الاقطاعي في عهد القنانة. إن جميع الفلاحين يريدون التحرر من هذا الاستعباد الجديد، جميعهم يريدون التمتع بجميع الحقوق، جميعهم يكرهون الملاكين العقاريين الذين يجبرونهم حتى الآن على القيام بأعمال السخرة، على العمل في صالح السادة النبلاء لقاء الأرض، ومرعى الماشية، ومسقى الماشية، والمرج، لقاء "الأضرار" التى تسببها الماشية، والذين يجبرونهم حتى الآن على إرسال نسائهم يحصدون "بدون أي أجر". إن الفلاحين الفقراء يعانون من واجبات العمل هذه أكثر مما يعني الفلاحون الأغنياء. فإن الفلاحين

الأغنياء يدفعون الأموال أحيانا لإنقاذ أنفسهم من هذا العمـل المترتب للأسياد الملاكين العقاريين، ولكن الملاكين العقاريين يضطهدون الفلاحين الأغنياء أيضـا فـي معظـم الاحيـان اضطهادا شديدا. ولذا ينبغـي علـى الفلاحـين الفقـراء أن يناضلوا، بالتحالف مع الفلاحين الأغنيـاء، ضـد اسـتعباد الملاكين العقاريين، ضد جميع أعمال السخرة، ضـد جميـع واجبات العمل. إننا لن نتحرر من كل العبوديـة، مـن كـل البؤس، إلا حين نتغلب على كل البرجوازيـة (بمـن فيهـا الفلاحون الأغنياء). ولكن ثمة عبودية سنتخلص منهـا قبـل غيرها، لأن الفلاح الغني لا يغتبط بها أيضا. ما يـزال فـي روسيا حتى اليوم كثير من الأماكن والنواحي ما يزال فيهـا جميع الفلاحين في الغالب كالأقنان تماما. ولذا ينبغي علـى جميع العمال الروس وعلى جميع الفلاحين الفقـراء خـوض النضال من جهتين: من جهة، ضـد جميـع البرجـوازيين بالتحالف مع جميع العمال؛ ومن جهة أخرى، ضد الموظفين في الأرياف، ضد الملاكين الاقطاعين، بالتحالف مع جميـع الفلاحين. وإذا لم يشكل الفلاحون الفقراء إتحـادا خاصـا لا يشترك فيه الفلاحون الأغنيـاء، فـإن الفلاحـين الأغنيـاء

سيخدعون الفلاحين الفقراء، ويوارب ـون، ويتحول ـون إل ـى ملاكين عقاريين، ولن يكتفوا بإبقاء الفلاحين الفقراء معدمين تماما وحسب، بل سيرفضون أيضا منحهم حري ـة الاتح ـاد. وإذا لم يعمد الفلاحون الفقراء إلى النض ـال بالتح ـالف م ـع الفلاحين الأغنياء ضد العبودية الاقطاعية، ف ـإنهم س ـيظلون مكتوفي الأيدي مربوطين بمكان واحد، ولن يحصلوا أيض ـا على الحرية التامة بالاتحاد مع عمال المدن.

ينبغي على الفلاحين الفقراء أن يسددوا الضربة أولا إل ـى الملاكين العقاريين، وأن يخلعوا على الأقل العبودية التي هي أقسى العبوديات وأشدها ضررا، والت ـي فرض ـها الأس ـياد الملاكون العقاريون. وفي ه ـذا المج ـال، س ـيقف أنص ـار البرجوازية والكثيرون من الفلاحين الأغني ـاء إل ـى جان ـب الفلاحين الفقراء، لأنه لم يبق في وس ـعهم احتم ـال ازدراء الأسياد وتعاليهم. ولكن ما إن نحطم قليلا من سلطة الملاكين العقاريين، حتى يبرز الفلاح الغني، ويمد مخالبه الكلابية إلى كل شي، وهذه المخالب جشعة، وقد نهبت حتى الآن الكثي ـر من الأشياء. ولذا تنبغي اليقظة وإقامة تحالف وطيد، راسخ لا يتزعزع، مع عمال المدن. فإن عمال المدن سيساعدون ف ـي

حمل الملاك على التخلي عن عاداته القديمة الاقطاعية، وفي تهدئة الفلاح الغني أيضا (كما فعلوا إلى حد ما مـع أربـاب العمل). فبدون التحالف مع عمال المدن، لن يتحرر الفلاحون الفقراء أبدا من كل العبوديات وكل الحرمانات وكل البـؤس؛ وليس ثمة أي آخر سيساعدهم في هذا المجال، ولا ينبغي لهم الاعتماد إلا على أنفسهم. ولكن ثمة تحسينات سنحققها قبـل غيرها، بل نستطيع تحقيقها فورا، في بدايـة هـذا النضـال الكبير. ففي روسيا أمثلة كثيرة عن الاستعباد زالت منذ زمن بعيد في البلدان الأخرى؛ فمن هذا الاستعباد للموظف، مـن هذا الاستعباد للسيد، للاقطاعي، يستطيع كل الفلاحين الروس أن يتخلصوا حالا.

والآن، سندرس التحسينات التي يريـد حـزب العمـال الاشتراكي-الديموقراطي تحقيقها أولا، وبالدرجة الأولى، من أجل تحرير كل الفلاحين الروس من أقسى عبودية اقطاعيـة على الأقل، ومن أجل فك القيد عن يدي الفلاح الفقيـر فـي النضال ضد كل البرجوازية الروسية.

إن المطلب الاول لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي هو التالي: العمل فورا على إلغاء جميع التعويضـات عـن الأراضي، وعلى إلغاء جميع الاتاوات وجميـع الالتزامـات التي تثقل كواهل الفلاحين "الذين يتحملون الضرائب". فعندما كانت لجان النبلاء وحكومة نبلاء القيصر الروسـي "تعتـق" الفلاحين من القنانة، كانت تلزم الفلاحين بشـراء أراضـيهم نفسها من جديد، بشراء الأراضـي التـي كـان الفلاحـون يزرعونها منذ أجيال وأجيال! كان ذلك ضربا من النهب.

كانت لجان النبلاء تنهب الفلاحين بكل بساطة بمسـاعدة الحكومة القيصرية التي كانت ترسل الجيش إلى العديد مـن الأماكن بقصد تطبيق الشرعات التنظيمية(٨) بالقوة وبقصـد إنزال العقوبات العسكرية بالفلاحين الذين كـانوا لا يقبلـون بالأراضي المقتطعة "البائسة". ولولا مساعدة الجـيش، لـولا التعذيبات والإعدامات رميا بالرصاص، لما استطاعت لجان النبلاء أبدا أن تنهب الفلاحين بمثل الوقاحة التي نهبتهم بهـا في أثناء تحرير الفلاحين مـن القنانـة. ينبغـي أن يتـذكر الفلاحون على الدوام كيف خدعتهم لجان الملاكين العقاريين، لجان النبلاء، وكيف نهبتهم، لأن الحكومة القيصرية ما تزال

تعين اليوم لجان نبلاء أو لجان موظفين عندما يتعلق الأمـر بإصدار قوانين خاصة بالفلاحين. فمنذ بعض الحين، أصـدر القيصر بيانا (بتاريخ ٢٦ فبراير/شباط ١٩٠٣) وعـد فيـه بإعادة النظر في القوانين الخاصة بالفلاحين وتحسينها. ولكن من ذا الذي سيعيد النظر؟ من ذا الذي سيحسن؟ النبلاء أيضا، والموظفون أيضا! وسيظل الفلاحون مخدوعين طالمـا لـم يتوصلوا إلى تأليف لجان فلاحيـة مهمتهـا تحسـين حيـاة الفلاحين.

كفى ما حكم وما أمر وما نهى الملاكون العقاريون ورؤساء الأقضية وشتى أصناف الموظفين! كفـى اسـتعبادا للبـوليس الريفي، ولجميع أبناء النبلاء السكارى المدمنين الذين يعينـونهم رؤساء الأقضية، أو رؤساء البوليس في الأقضية، أو حكامـا! ينبغي على الفلاحين أن يطالبوا بحريـة تصـريف شـؤونهم بأنفسهم، بحرية التفكير بأنفسهم في القوانين الجديـدة، بحريـة تعيينها وسنها بأنفسهم. ينبغي عليهم أن يطالبوا بلجان فلاحيـة حرة ومنتخبة. وطالما لم يحصلوا على هذا، فسـيظل النـبلاء والموظفون يخدعونهم وينهبونهم. وما من أحد سينقذ الفلاحـين من براثن الموظفين مصاصي الدماء، إذا لم يحرر الفلاحـون أنفسهم بأنفسهم، إذا لم يتحدوا لأخذ مصيرهم بأيديهم ذاتها.

إن الاشتراكيين-الديموقراطيين لا يطالبون فقـط إلغـاء تعويضات الأراضي والاتاوات وجميع الالتزامات الأخـرى إلغاء تاما وفوريا، بل يطلبون أيضا أن تعاد إلى الشعب هذه التعويضات المقتطعة منه. ففي عموم روسيا، دفع الفلاحـون مئات الملايين من الروبلات منذ أن حررتهم لجان النبلاء من القنانة. وهذه المبالغ إنما ينبغـي أن يسـتعيدها الفلاحـون. فلتفرض الحكومة ضريبة خاصة على كبار ملاكي الأراضي النبلاء، لتؤخذ اراضي الاديرة والاقطاعات (أي أراضي أسر القيصر)، لتنفق جمعية النواب الشعبية هذا المال في صـالح الفلاحين. فليس في العالم مكان بلغ فيه اذلال الفلاح وافقاره وهلاك الملايين من الفلاحين جوعا، حدا مرعبا كمـا فـي روسيا. لقد اكره الفلاح في روسيا على الموت جوعا لأنـه سبق للجان النبلاء أن نهبته، لأنه ينهب كل سنة منـذ ذلـك الحين، باجباره على دفع جزيته القديمة للاقطاعيين القـدماء المتبقين، باجباره على دفع تعويضات الارض وعلى تسـديد الاتاوات. فليتحمل الذين ينهبونه وزر ما يفعلون. لتؤخذ مـن كبار الملاكين النبلاء، المبالغ الضرورية لاسداء معونة فعالة للجياع. فالفلاح الجائع ليس بحاجة إلى الاحسـان ولا إلـى

الصدقات البائسة. ليطالبن باعادة المبالغ التي دفعها طـوال سنوات وسنوات للملاكين العقاريين والدولة. اذ ذاك تستطيع جمعية النواب الشعبية واللجان الفلاحية تقديم مساعدة حقيقية وجدية للجياع.

لنتابع. إن حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي يطالـب بأن يصار فورا إلى إلغاء التكافل(٩) إلغاء تاما، وكذلك جميع القوانين التى تحد من حرية تصرف الفلاح بأرضه. إن بيان القيصر، الصادر بتاريخ ٢٦ فبراير/شباط ١٩٠٣، يعد بالغاء التكافل والتضامن. وقد صدر مؤخرا قـانون يـنص علـى الغائهما. ولكن ذلك لا يكفي. ينبغي فوق ذلك أن يصار فورا إلى إلغاء جميع القوانين التي تحد من حرية تصرف الفـلاح بارضه. وبدون ذلك، لن يكون الفلاح حرا تماما، حتـى إذا الغي التكافل بحرية التصرف بأرضه حرية تامة: ينبغـي أن يكون له حق التنازل عنها وبيعها لمن يشاء دون أن يطلـب الاذن من أي كان. وهذا ما لا يسمح به مرسوم القيصر: فإن جميع النبلاء والتجار والبرجـوازيين الصـغار يسـتطيعون التصرف باراضيهم بكل حرية، باستثناء الفلاح. فالموجيـك ليس سوى طفل صغير. ينبغي فرض اشراف رئيس القضاء

عليه، كما تشرف المربية على الطفل. ينبغي منع الموجيـك من بيع ارضه، لأنه قادر على تبديـد مالـه! هكـذا يفكـر الاقطاعيون، وثمة سذج بلهاء يصدقونهم ويتمنـون الخيـر للموجيك قائلين أنه ينبغي منعه من بيـع ارضـه. بـل إن الشعبيين (الذين سبق أن تحدثنا عنهم آنفا) والـذين يسـمون أنفسهم "اشتراكيين-ثوريين" يوافقون على رأي الاقطـاعيين أيضا؛ وهم يرون أنه من الأفضل منع الموجيـك مـن بيـع أرضه ولو بقي قنا إلى حد ما.

أما الاشتراكيون-الديموقراطيون، فإنهم يقولون: هذا رياء برياء، هذا يعني التظاهر بمظاهر الاسـياد، وهـذه كلمـات معسولة فقط! فحين نحقق الاشتراكية وتتغلب الطبقة العاملـة على البرجوازية، تصبح كل الارض للجميع ولن يبقـى لأي احد حق بيعها. ولكن من الآن حتى ذلـك الحـين؟ النبيـل والتاجر يستطيعان بيع الارض ولكـن الفـلاح لا يسـتطيع بيعها؟! النبيل والتاجر حران، بينما يظل الفلاح فـي حالـة نصف قن، أليس كذلك؟! وسيظل الفلاح يستعطي الاذن مـن ولاة الشأن، أليس كذلك؟!

ليس ذلك سوى كذب، وإن كان مقنعا بكلمات معسـولة، ولكنه يبقى مع ذلك كذبا.

وطالما يسمحون للنبيل وللتاجر ببيـع الارض، فينبغـي أيضا أن يكون للفلاح الحق التام ببيع ارضه والتصرف بهـا بحرية تامة، شأنه شأن النبيل والتاجر.

وعندما تتغلب الطبقة العاملة على البرجوازية بأسـرها، فإنها ستنتزع أرض كبار الملاكين وتنظم استثمارات تعاونية في الاملاك الكبيرة، لكي يـزرع العمـال الارض بصـورة مشتركة، بالاتفاق فيما بينهم، ويعينـوا بحريـة المسـؤولين الاداريين من بين الذين يثقون بهم، ويستخدموا شتى أنـواع الآلات بغية تسهيل العمل، ولا يشتغل كل منهم بدوره أكثـر من ثماني ساعات (بل ربما يشتغل ست ساعات) في اليـوم. اما الفلاح الصغير الذي يريد الاستمرار على استغلال ارضه حسب الطريقة القديمة بصورة منفردة، فإنـه، هـو أيضـا، سيكف عن استثمار أرضه من أجل السوق ومن اجـل بيـع منتجاته لاول قادم، وسيعمل من اجل جمعيات العمال؛ فـإن الفلاح الصغير سيقدم لجمعـيلات العمـال الخبـز واللحـم والخضار، وسيعطيه العمـال دون مـال الآلات والمواشـي

والاسمدة والألبسة، وكل ما يحتاج اليـه. حينـذاك سـيزول النضال بسبب المال بين المالك الكبير والمالـك الصـغير. وسيزول العمل المأجور، لحساب الآخرين، وسيعمل جميـع الشغيلة لأنفسهم، وستفيد الآلات وجميع التحسـينات العمـال أنفسهم، وتسهل عملهم وتحسن حياتهم.

ولكن كل امرئ سليم التفكير يـدرك أن مـن المسـتحيل تحقيق الاشتراكية دفعة واحدة: فلهذا الغرض ينبغي خـوض نضال عنيد ضد البرجوازية كلها، ضد الحكومـات مـن أي طراز ونوع كانت؛ لهذا الغرض ينبغي حشد جميـع عمـال المدن في عموم روسيا، والفلاحين الفقراء معهم، في اتحـاد متين لا يتزعزع. وتلك مهمة كبيرة، وجديرة بان يكرس لها المرء كل حياته. ولكن، طالما لم نحقـق الاشـتراكية، فـان المالك الكبير سيناضل ابدا ضد المالك الصغير، بسبب المال: فهل يكون المالك الكبير حرا حقا ببيع الارض، بينما الفـلاح الصغير ليس بحر؟ إننا نكرر أن الفلاحـين ليسـوا أطفـالا صغار، ولن يسمحوا لأحد أن يتأمر عليهم؛ فينبغي أن ينـال الفلاحون جميع الحقوق، جميع الحقوق دون أي قيد، جميـع الحقوق التي يتمتع بها النبلاء والتجار.

ويقولون أيضا: إن الفلاح لا يملك ارضه لنفسـه، انمـا ارضه تخص المشاعة. ولا يمكن السماح لأحد ببيع الارض التي تخص المشاعة. وهذا قول كذب أيضا. فهل أن النـبلاء والتجار ليس لهم مثل هذه الجمعيات؟ الا يشكلون شـركات، ألا يشترون معا الأراضي والمصانع وكل ما تريدون؟ لماذا لا يلفقون أي قيد لجمعيات النـبلاء بينمـا تتـدخل الحثالـة البوليسية بشؤون الموجيك وتتخيل شتى القيود والموانـع؟ إن الفلاحين لم يروا قط أي موقف طيب من جانب المـوظفين، ولم يعرفوا منهم سوى الضرب والنهب والسـلب والاهانـة، ولن يرى الفلاحون خيرا طالما لم يأخذوا شؤونهم بأيـديهم، طالما لم يظفروا بالمساواة التامة في الحقوق وبالحرية التامة. فاذا شاء الفلاحون أن تكون الارض للمشاعة، فلا يفكرن احد بمنعهم عن ذلك، فانهم سيؤلفون بالتفاهم فيما بينهم، جمعيـة مع من يشاؤون وكما يشاؤون ويصوغون عقدا لجمعيتهم كما يطيب لهم، وبكل حرية. فلا يحاولن الموظف حشر انفه فـي شؤون جمعية الفلاحين. ولا يفكرن احد بمخاتلة الفلاحين ولا بتلفيق القيود والموانع لهم.

واخيرا، يريد الاشتراكيون-الديموقراطيون الحصول على تحسين هام آخر للفلاحين: انهم يريدون الحد فورا، حالا، من حالة الاستعباد للسيد، من عبودية الموجيـك الاقطاعيـة. لا ريب في اننا لن نتوصل إلى التخلص تماما مـن العبوديـة، طالما البؤس يعم العالم، ولا إلى التخلص من البؤس طالمـا الارض والمصانع في ايدي البرجوازية، طالما المـال هـو القوة الرئيسية في العالم، طالما لم يبن المجتمع الاشـتراكي. بيد انه ما تزال في القرى الروسية عبودية قاسية جدا، غيـر معروفة في البلدان الاخرى، رغم أن الاشتراكية لم تبن فيها بعد.

فالعبودية الاقطاعية ما تزال عظيمة الشأن فـي روسـيا. وهي تفيد جميع الملاكين العقاريين، وتنيخ بكلكلها على جميع الفلاحين، بيد انه يمكن ويجب الغاؤها فورا، حالا، وبالدرجة الاولى.

لنوضح ما سميناه العبودية الاقطاعية:

ان كل من يسكن الريف يعرف من هذه الحالات. فارض السيد تقع إلى جانب ارض الفلاح. وعند تحرير الفلاحـين، انتزعوا منهم الأراضي التي يحتاجون اليهـا، والمراعـي، والغابات، والمساقي.

ولا يعرف الفلاحون اين يمضون وما يفعلون دون هـذه الأراضي التي انتزعوها منهم، دون المراعي، دون المساقي. ولذا يضطرون لأن يطلبوا من الملاك أن يسمح لهم بمـرور الماشية إلى المسقى، أن يعطيهم مرعـى للماشـية، الـخ.. والحال أن الملاك لا يستثمر املاكه، وقد لا يكون لديـه أي مال، وهو لا يعيش الا مـن اسـتعباد الفلاحـين. وهـؤلاء يشتغلون مجانا في املاكه لقاء الأراضي التي انتزعوها منهم فيما مضى، ويحرثون ارضه باحصنتهم، ويحصدون حبوبه، ويحصدون هشيم مروجه، ويدرسون حبوبه، وفـي بعـض الاماكن يحملون سمادهم إلى ارض السـيد، ويقـدمون لـه الاقمشة والبيض والدجاج.

كما في عهد القنانة! في عهـد القنانـة، كـان الفلاحـون يشتغلون مجانا لمالك الاقطاع حيـث يعيشـون، وهـم الآن يشتغلون أيضا، في معظم الاحيان، مجانا، للسيد، لقاء الارض نفسها التي انتزعتها لجان النبلاء من الفلاحين لدن تحريرهم. وما تزال اعمال السخرة ذاتها. هكذا يسـمي فلاحـو بعـض المقاطعات هذا العمل الذي يقومون به في صالح السيد. وهـذا ما نسميه العبودية الاقطاعية. فعند تحرير الفلاحـين، دبـرت لجان الاسياد الاقطاعيين أو لجان النـبلاء الامـور بصـورة يستطيعون معها استعباد الفلاحين كما في الماضي، فـاقتطعوا قصدا من اراضي الفلاحين، وشقوا اراضي الفلاحين باراضي الاسياد كالاسفين لكي لا يكون للفلاح مكان يضع فيه دجاجة، ونقلوا الفلاحين إلى اراض قاحلة، وقطعوا بـارض الاسـياد الطريق إلى مسقى الماشية: أي، انهم دبروا الامور بصـورة يقع فيها الفلاحون في الفخ، واسرى، دون اية صعوبة. وكـم من القرى – وعددها لا حد له – ما يـزال فيهـا الفلاحـون اسرى الملاكين المجاورين، اسرى كما كانوا في عهد القنانة. في هذه القرى، نرى الفلاح الغني والفلاح الفقير مكبلي الايدي والاقدام، وتحت رحمة الملاك العقاري. وحياة الفلاح الفقيـر

اصعب بكثير من حياة الفلاح الغني. فالفلاح الغني يملك احيانا ارضه الخاصه فيرسل العامل المأجور يقـوم عنـه بأعمـال السخرة. اما الفلاح الفقير، فليس له أي مخرج، فيفعل المـلاك العقاري به ما يريد. والفلاح الفقير، الذى يعانى هذا الاستعباد، لا يجد غالبا الوقت الكافي للاستراحة، والجهد الذي يبذله فـي صالح سيده يمنعه من العمل خارج قريتـه وناحيتـه، ومـن التفكير بالانضمام بحرية إلى اتحاد واحد، إلى حزب واحـد، مع جميع الفلاحين الفقراء وعمال المدن.

ولكن، أليس ثمة لالغاء هذه العبودية فورا، ودفعه واحـدة؟ إن حزب العمال الاشتراكي-الـديموقراطي يقـدم للفلاحـين وسيلتين من اجل بلوغ هذا الهدف. غير اننا نقول مرة اخرى أن الاشتراكية وحدها هي التي ستحرر الفلاحين الفقراء مـن جميع العبوديات، لأن الأغنياء سيضطهدون الفلاحين الفقـراء بطريقة أو باخرى طالما هم اقوياء. ومن المستحيل إلغاء هـذه العبودية تماما، ودفعة واحدة، غير انه يمكن الحد كثيـرا مـن هذه العبودية الاقطاعية، التي هي اقسى واشنع عبودية، والتي تنيخ بكلكلها على الفلاحين الفقراء والفلاحين المتوسطين سواء بسواء حتى على الفلاحين الأغنياء أيضا، يمكن التوصل فورا إلى التخفيف من وطأة هذه العبودية على الفلاحين.

ولهذا الغرض، توجد وسيلتان:

الوسيلة الاولى : انما هي المحـاكم التـي يختـار اجـراء الارياف والفلاحون الفقراء وكذلك الفلاحون الأغنياء والملاكون العقـاريون، اعضـاءها بحرية من بين يثقون بهم.

الوسيلة الثانية : انما هي اللجان الفلاحية المختارة بحريـة، ينبغي أن تتمتع هذه اللجان بحق بحث واقرار جميع التدابير التى تؤول إلى إلغاء السخرة، والى محو بقايا القنانة، كما ينبغي أن تتمتـع أيضا بحق انتزاع الأراضي المقتطعة سـابقا واعادتها إلى الفلاحين.

لندرس هاتين الوسيلتين بمزيد من التفاصيل. إن المحـاكم المختارة اعضاؤها بحرية من بين اهل الثقة، سـتبحث فـي جميع شكاوى الفلاحين ضد العبودية. وسيكون من حق هـذه المحاكم تخفيض بدلات ايجار الاراضي، إذا استغل الملاكـو العقاريون بؤس الفلاحين وحددوا بدلا باهظا. وسيكون مـن حق هذه المحاكم تحرير الفلاحين من المدفوعات الجـائرة. مثلا، إذا استأجر الملاك الفلاح في فصل الشتاء لكي يقوم له

باشغاله في فصل الصيف بنصـف الاجـر العـادي، فـان المحكمة تبحث القضية وتحدد اجرا عادلا. وينبغي أن تتألف هذه المحكمة، بالطبع، لا من الموظفين، بل من اهـل الثقـة المختارين بحرية، وينبغي اطلاقا أن يكون للأجراء الريفيين والفلاحين الفقراء عدد من الممثلين لا يقل عن عدد ممثلـي الفلاحين الأغنياء والملاكين العقاريين. وستبحث هذه المحاكم أيضا جميع النزاعات بين العمال واربـاب العمـل. وهكـذا ستخف المصاعب امام العمال والفلاحين الفقـراء لعـرض حقوقهم والدفاع عنها امام هذه المحاكم، وستخف المصـاعب امامهم للاتحاد فيما بينهم ولمعرفة من هم الذين يدافعون عن الفلاحين الفقراء وعن العمال بامانة واخـلاص، لمعـرفتهم بدقة. واليكم أيضا وسيلة اخرى، اهم، هي اللجان الفلاحيـة المختارة بحرية من بين اهل الثقة الذين يمثلـون الاجـراء الزراعيين والفلاحين الفقراء والمتوسطين والأغنياء في كـل قضاء من الاقضية (او عدة لجان في كل قضاء، إذا ارتـأى الفلاحون ذلك ضروريا، بل قد يشكلون لجانا فلاحية في كل ناحية وكل قرية كبيرة). وما من احد يعـرف خيـرا مـن الفلاحين أي عبودية تنيخ بثقلها على كواهلهم.

وما من احد سيعرف خيرا من الفلاحـين كيـف يفضـح الملاكين العقاريين الذين يعيشون حتى الآن مـن العبوديـة الاقطاعية. إن اللجان الفلاحية ستقرر اية هي الأراضـي أو المروج أو المراعى، الخ. التي انتزعت جورا وظلمـا مـن الفلاحين، وستقرر إذا كان ينبغي انتزاع هذه الأراضي مجانا أو دفع تعويض للذين اشتروها، وذلك علـى حسـاب كبـار الملاكين العقاريين النبلاء. وستحرر هذه اللجـان الفلاحـين على الأقل من الاشراك التى اوقعهم فيها الكثير مـن لجـان الاسياد، من لجان النبلاء. وستحرر الفلاحـين مـن تـدخل الموظفين؛ وستبين أن الفلاحين يريدون ويستطيعون تصريف شؤونهم بانفسهم. وستساعد الفلاحـين فـي التفـاهم حـول حاجاتهم وفي حسن معرفة الناس القادرين على الصمود إلى جانب الفلاحين الفقراء والى جانب تحالفهم مع عمال المدن. إن اللجان الفلاحية تشكل خطوة اولى إلى الامام لكي يهـب الفلاحون وقوف حتى في انأى القرى ويأخـذوا مصـيرهم بأيديهم.

ولهذا يحذر العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون الفلاحين قائلين لهم:

لا تثقوا باية لجنة من لجان النبلاء ولا باية لجنة من لجان الموظفين.

طالبوا بجمعية نواب شعبية.

طالبوا بانشاء اللجان الفلاحية.

طالبوا بالحرية التامة لطبع جميع انواع الكتب والصحف.

وعندما يصبح من حق الجميع، ومن حق كل فـرد مـن الافراد، حرية التعبير عن الآراء والرغبـات فـي جمعيـة النواب الشعبية، وفي اللجان الفلاحية، وفي الصـحف، دون خشية من احد، عند ذاك سيعرف في وقت قصير جدا من ذا الذي يقف إلى جانب الطبقة العاملة ومن ذا الذي يقف إلـى جانب البرجوازية. اما الآن فان الاغلبية الساحقة لا تفكر ابدا في هذا الامر. وهناك من يخفون رأيهم الحقيقي؛ وهناك من لا يعرفون انفسهم حتى الآن؛ وهناك من يخـدعون قصـدا وعمدا. ولكن الجميع سيفكرون حينذاك في هذا الامر، ولـن تبقى ثمة حاجة إلى التخفي، فكل شيئ سيتضح حـالا. لقـد سبق أن قلنا أن البرجوازية ستجتذب الفلاحين الأغنياء إلـى

جانبها. وكلما تحقق إلغاء العبودية الاقطاعية بمزيد من السرعة والاكتمال، وكلما تعاظمت الحرية الفعلية التي يظفر بها الفلاحون، اتحد الفلاحون الفقراء فيما بينهم بمزيد من السرعة، واسرع الفلاحون الأغنياء بالاتحاد مع البرجوازية كلها. لندعهم اذن يتحدون: فاننا لا نخاف هذا الاتحاد، مع اننا نعلم تمام العلم أن هذا الاتحاد سيزيد من قوة الفلاحين الأغنياء. لاننا سنتحد بدورنا وسيكون تحالفنا – تحالف الفلاحين الفقراء مع عمال المدن – اكثر عددا بما لا حد له، انه سيضم عشرات الملايين ضد تحالف مئات الآلاف.

ونحن نعلم أيضا أن البرجوازية ستسعى جهدها (وهي تسعى جهدها منذ الآن!) لكي تجتذب الفلاحين المتوسطين إلى جانبها بل الفلاحين الصغار أيضا؛ انها ستحاول أن تخدعهم، وتغرهم، وتفرق شملهم، وتعد كلا منهم بترقيتة إلى الأغنياء. لقد رأينا آنفا إلى اية وسائل واية اكاذيب تلجأ البرجوازية لاجتذاب الفلاح المتوسط. فينبغي لنا اذن أن نفتح عيون الفلاحين الفقراء سلفا وان نوطد سلفا تحالفهم الخاص مع عمال المدن ضد البرجوازية برمتها.

ليتطلع كل ساكن من سكان الارياف فيما حوله بانتباه. فما اكثر ما يرفع الفلاحون الأغنياء الصوت ضد الاسياد، ضـد الملاكين العقاريين! ولكم يتذمرون من الظلم النازل بالشـعب ومن بقاء اراضي الاسياد بورا بلا جـدوى! ولكـم يحبـون الوشوشة (فردا لفرد) بانه ينبغي نقل هـذه الأراضـي إلـى حوزة الموجيك!

ولكن هل يمكننا تصديق ما يقوله الأغنياء؟ كلا. فهـم لا يريدون الحصول على الارض من اجل الشعب، بل من اجل انفسهم.

فهم منذ الآن قد اشتروا واستأجروا مساحات كبيرة مـن الارض، ولكن ذلك لا يكفيهم. ولذا لن يسير الفلاحون الفقراء طويلا مع الفلاحين الأغنياء ضد الملاكـين العقـاريين. ولا يسعنا أن نخطو معهم سوى خطوة اولى ومن ثم لابد لنـا أن يسير كل منا على حدة.

ولهذا ينبغي أن نفصل بوضوح هذه الخطوة الاولى عـن الخطوات الاخرى وعن خطوتنـا الاخيـرة الرئيسـية. إن الخطوة الاولى الواجب القيام بها في الارياف، هي تحريـر الفلاح تماما، ومنحه الحقوق الكاملة، وانشاء لجان فلاحية من اجل استعادة الأراضي المقتطعة. اما خطوتنا الاخيرة، فـي المدينة كما في الريف، فهي التالية: سننتزع جميع الأراضي وجميع المصانع من الملاكين العقاريين والبرجوازية وسنبني المجتمع الاشتراكي. وبين الخطوة الاولى والخطوة الاخيرة، سيترتب علينا أن نناضل طويلا، فمن يخلط بـين الخطـوة الاولى والخطوة الاخيرة، فانه يسيء إلى هذا النضال؛ وكأنه عن غير قصد، يذر الرماد في عيون الفلاحين الفقراء.

اما الخطوة الاولى، فان الفلاحين الفقراء سـيقومون بهـا بالاتفاق مع جميع الفلاحين، ولكن مع العلم أن بعض الكولاك لن يقدموا عليها، أو أن فلاحا من اصل مئة لن يتذمر من اية عبودية. ولكن كل الجمهور سيناضل أيضا في هذا الميـدان من اجل شيء واحد: لأن الحقوق المتساوية ضرورية لجميع الفلاحين. فان استعباد السيد يكبل ايدي الجميع واقدامهم. اما الخطوة الاخيرة، فان جميع الفلاحين لن يقوموا بها ابدا معا:

بل إن جميع الفلاحين الأغنيـاء سـيهبون ضـد الاجـراء الزراعيين. حينذاك ينبغي لنا تحالف متـين بـين الفلاحـين الفقراء والعمال الاشتراكيين – الديموقراطيين في المدن. فان من يقول للفلاحين انهم يستطيعون القيام دفعة واحدة بالخطوة الاولى والخطوة الاخيرة فها يعني انه يخدعهم وهذا يعني انه ينسى النضال الكبير القائم بين الفلاحين انفسـهم، النضـال الكبير القائم بين الفلاحين الفقراء والفلاحين الأغنياء.

لهذا لا يعد الاشتراكيون-الديموقراطيون الفلاح من الدفعة الاولى بالمن والسلوى وبأنهر من العسل واللبن. لهذا يطلبون قبل كل شيء الحرية التامة للطبقة العاملة برمتها في نضالها، في نضالها الكبير، الواسع، الشامل، ضد البرجوازية برمتها. لهذا يشير الاشتراكيون-الديموقراطيون إلى الخطوة الاولـى الواجب خطوها، وهي خطوة صغيرة ولكنها خطوة اكيدة.

يعتقد البعض أن مطلبنا بانشاء لجان فلاحية بغية الحد من العبودية واستعادة الأراضي المقتطعة فيما مضى انمـا هـو ضرب من سياج، نوع من سد. فكأننا نقول: قفوا، لا تمضوا أبعد من ذلك. إن هؤلاء القوم قد اساؤوا التفكير فيما يريـده الاشتراكيون-الديموقراطيون.

ان مطلب انشاء لجان فلاحية بغية الحـد مـن العبوديـة واستعادة الأراضي المقتطعة فيما مضى، ليس سدا. انه باب. وينبغي الخروج من هذا الباب اولا من اجل المضـي إلـى أبعد، من اجل اتباع الطريق الرحبة المفتوحة إلى النهاية، إلى أن يتحرر كل الشعب العامل الشغيل في روسيا تحررا تاما. وطالما لا يخرج الفلاحون من هذا البـاب. فـانهم سـيبقون غارقين في لجة الجهل، خاضعين للعبودية، محرومين مـن كامل الحقوق، من الحرية التامة الحقيقية، بل انهم سـيظلون عاجزين عن التمييز بين اصدقاء العامل واعدائه. ولذا يشير الاشتراكيون-الديموقراطيون إلى هذا الباب ويقولـون انـه ينبغي اولا دفع هذا الباب معا، بجهد مشترك، بجهد الشـعب كله، وتحطيمه تحطيما تاما. اذ ثمة اناس يقولون عن انفسهم انهم شعبيون واشتراكيون – ثوريون، ويريدون، هم أيضـا، الخير للموجيك؛ انهم يصـرخون، ويضـجون، ويلوحـون بالايدي، ويريدون اسداء المساعدة، ولكنهم لا يـرون هـذا الباب! وهؤلاء القوم عميان إلى حد انهم يقولون بانه لا ينبغي ابدا منح الموجيك حق التصرف بارضه بحرية! انهم يريدون الخير للموجيك، ولكنهم يفكرون احيانا مثل الاقطاعيين تماما!

إن مساعدة مثل هؤلاء الاصدقاء لن تكون كبيرة الفائدة. فماذا يجدي نفعا أن تريد الخيـر للموجيـك، إذا كنـت لا تـرى بوضوح هذا الباب الاول الذي ينبغي تحطيمه؟ وماذا يجـدي نفعا أن تطمح انت أيضا إلى الاشتراكية، إذا كنت لا تـرى الوسيلة للخروج إلى طريق النضال الشعبي الحر من اجـل الاشتراكية، لا في المدينة وحسب، بل في الريف أيضـا، لا ضد الملاكين العقاريين وحسب، بل ضد الاثرياء فـي قلـب المشاعة، في قلب "المير"؟

لهذا يشير الاشتراكيون-الديموقراطيون بمثل هذا العنـاد البالغ، إلى هذا الباب الاول والقريب جدا. فليس من الصعب اليوم الاكثار من التمنيات الطيبة، بل الصعب هـو أن نبـين بوضوح الطريق الواجب اتباعها، أن نـدرك بوضـوح مـا ينبغي القيام به لتحقيق هذه الخطوة الاولى.

أن يكون الموجيك الروسي مرهقا باثقـال العبوديـة، أن يكون قد ظل نصف قن، فذلك ما يتحدث عنه جميع اصدقائه ويكتبون عنه منذ اربعين سنة. أن يكون الملاكون العقاريون ينهبون الموجيك ويستعبدونه بصورة فاضحة بوساطة شـتى انواع الأراضي المقتطعة فيما مضى، فذلك ما كتـب عنـه جميع اصدقاء الموجيك العديد مـن الكتـب قبـل ظهـور الاشتراكيين-الديموقراطيين في روسيا بـزمن طويـل. أن يكون من المترتب مساعدة الموجيـك حـالا، دون تـأخير، وتحريره إلى حد ما من العبودية، فذلك ما يراه الآن جميـع الناس الشرفاء، وما اخذ يتحدث عنـه الآن حتـى موظفـو حكومتنا البوليسية. فالمسألة كلها تنحصر في معرفـة كيـف نشرع بالامر، كيف نخطو الخطوة الاولى، أي باب نقتحمـه في بادئ الامر.

على هذا السؤال، يعطي مختلف الناس (ممن يريدن الخير للموجيك) جوابين مختلفين. وينبغي على كل بروليتاري مـن بروليتاريي الارياف أن يسعى جهده لفهم هذين الجوابين فهما جيدا وان يكون رأيا واضحا ودقيقـا. إن جـواب الشـعبيين والاشتراكيين-الثوريين هو التالى. انهم يقولون: ينبغـي اولا تطوير شتى انواع الجمعيات (التعاونيـات) فـي صـفوف الفلاحين. ينبغي توطيد "المير". ينبغي عدم منح كل فلاح حق التصرف بارضه بحرية. لتتمتع المشاعة بمزيد من الحقـوق ولتصبح كل الارض في روسيا مشاعية شيئا فشيئا.

ينبغي منح الفلاحين شتى انواع التسهيلات فيمـا يتعلـق بشراء الارض لكي تنتقل الارض من الرأسمال إلى العمـل، بمزيد من السهولة.

اما الاشتراكيون-الديموقراطيون، فانهم يعطـون جوابـا آخر.

ينبغي اولا أن يحصل الفلاح لنفسه على جميع الحقوق التي يتمتع بها النبلاء والتجار، دون استثناء أي حق. ينبغي أن يتمتع الفلاح بكامل حق التصرف بارضه بحرية. ومن اجل القضاء على اشد العبوديات بشاعة، ينبغي انشاء لجان فلاحية بغية استعاة الأراضي المنتزعة من الفلاحين لدن إلغاء القنانة. إن ما ينبغي لنا، ليس تحالفا مشاعيا، بل تحالف الفلاحين الفقراء من مختلف المشاعات المشاعية في عموم روسيا، وتحالف بروليتاريي الارياف مع بروليتاريي المدن. إن جميع انواع الجمعيات (التعاونيات) وعمليات شراء الارض بصورة مشاعية ستبقى ابدا ذا منفعة اكبر للفلاحين الأغنياء وستخدع الفلاح المتوسط.

ان الحكومة الروسية تدرك انه ينبغي منح الفلاحين التسهيلات، ولكنها تريد التنصل من ذلك بتوفير القشر دون اللباب. انها تريد أن تفعل كل شيء باللجوء إلى الموظفين. فينبغي على الفلاحين أن يتسلحوا باليقظة، لأن لجان الموظفين ستخدعهم كما خدعتهم لجان النبلاء.

ينبغي على الفلاحين أن يطالبوا بانتخاب لجـان فلاحيـة حرة. فليس المقصود توقع تخفيفات من جانب الموظفين، انما ينبغي على الفلاحين أن يأخذوا مصيرهم بأيديهم. لنخط اولا خطوة واحدة، لنحرر انفسنا اولا من اسوأ العبوديات، شـرط أن يدرك الفلاحون قوتهم، شرط أن يتفاهموا ويتحدوا بحرية. وما من احد، إذا كـان ذا وجـدان، يسـتطيع أن ينكـر أن الأراضي المنتزعة فيما مضى تستغل غالبا لتحقيـق اسـوأ عبودية اقطاعية فاضحة. وما من احد، إذا كان ذا وجـدان، يستطيع أن ينكر أن مطلبنـا هـو المطلـب الاول واعـدل المطالب: أن يختار الفلاحون بحرية لجانهم، دون مظفـين، بغية إلغاء كل عبودية اقطاعية.

وفي اللجان الفلاحية الحرة (وكذلك فـي جمعيـة نـواب روسيا الحرة)، سيباشر الاشتراكيون-الـديموقرطيون فـورا وبكل قواهم إلى توطيد تحـالف خـاص بـين بروليتـاريي الاريـاف وبروليتـاريي المـدن. وسـيلح الاشـتراكيون-الديموقراطيون على جميع التدابير الواجب اتخاذها في صالح بروليتاريي الارياف وسيساعدونهم، فورا بعد تحقيق الخطوة الاولى، في تحقيق الخطوة الثانية، بأسرع وقت وبمزيد مـن

التكاتف، ثم في تحقيق الخطوة الثالثة وهكذا دواليـك حتـى النهاية، حتى انتصار البروليتاريا التام. ولكن هل من الممكن أن نقول منذ الآن، منذ الدفعة الاولى، أي مطلـب سيوضـع على بساط البحث غدا، من اجل تحقيق الخطوة الثانية؟ كلا، لا يمكننا أن نقول ذلك، لأننا لا نعرف أي سلوك سيسلكه غدا الفلاحون الأغنياء وكثير من الناس المثقفين الـذين يهتمـون بشتى انواع التعاونيات وبقضية نقل الارض من الرأسـمال إلى العمل.

قد لا ينجحون غدا في التفاهم مـع الملاكـين العقـاريين فيريدون تسديد الضربة القاضية إلى حكمهم. هذا حسن جدا. فالاشتراكيون-الديموقراطيون لا يطلبون خيرا مـن ذلـك، وسيوصون بروليتاريي الارياف والمدن بان يطالبوا بانتزاع كل اراضي الملاكين العقاريين وبتسليمها إلى دولـة شـعبية حرة. وسيحرص الاشتراكيون-الديموقراطيون كل الحـرص على أن لا يستسلم بروليتاريو الارياف للخـداع، علـى أن يرسخوا اكثر من ذي قبل في النضال النهائي من اجل تحرير البروليتاريا تحريرا تاما.

ولكن، قد تجري الامور على غير هذا النحو. بـل مـن المحتمل اكثر أن تجري على غير هذا النحو. فقد يتحد غـدا الفلاحون الأغنياء وكثيرون من الناس المثقفين مع الملاكـين العقاريين، ما إن يصار إلى الحد من اسوأ العبوديات؛ حينذاك ستهب كل برجوازية الاريـاف ضـد مجمـل البروليتاريـا الريفية. حينذاك سيكون من السخف النضال ضد الملاكـين العقاريين وحدهم. حينذاك سيكون من السخف النضال ضـد الملاكين العقاريين وحدهم. حينذاك سيترتب علينا أن نناضل ضد كل البرجوازية وان نطالب قبل كل شيء، ومن اجل هذا النضال باكبر قسط ممكن من الحرية والمدى، وشروط حياة افضل للعامل بغية تسهيل نضاله.

إن مهمتنا الاولى، مهمتنا الرئيسية المحتومة، هـي، فـي مطلق الحالات، سواء أجرت الامور على هذا النحو أو ذاك، توطيد التحالف بـين بروليتـاريي وانصـاف بروليتـاريي الارياف وبين بروليتاريي المدن. ولهذا التحالف ينبغـي لنـا حالا، وفورا، الحرية السياسية التامـة للشـعب، والمسـاواة الحقوقية التامة للفلاح، والغاء العبوديـة الاقطاعيـة. وبعـد تحقيق هذا التحالف وتوطيده، لن يكون من الصـعب علينـا

فضح جميع الاكاذيب التى تلجأ اليها البرجوازيـة لاجتـذاب الفلاح المتوسط إلى جانبها، وبسـرعة وسـهولة، سـنحقق الخطوة الثانية والثالثة والاخيرة ضد البرجوازية بكليتها، ضد كل قوى الحكومة، وحينذاك سنسير نحـو النصـر دون أي انحراف، وسنتوصل بسرعة إلى تحرير الشعب العامل بأسره تحريرا تاما.

(٧) النضال الطبقي في الريف

ما هو النضال الطبقي؟ إنه نضال قسم من الشعب ضد قسم آخر، نضال جماهير المحرومين من الحقـوق والمظلـومين والشغيلة ضد أصحاب الإمتيـازات والظـالمين والطفيليـين، نضال العمال الأجراء أو البروليتـاريين ضـد المـالكين أو البرجوازية. إن هذا النضال الكبير كان موجودا دائما وهو ما يزال قائما الآن أيضا في الأرياف الروسية، رغـم أن لـيس الجميع يستشفونه، ويدركون مغزاه. في عهد القنانة، كان سواد الفلاحين يناضلون ضـد ظـالميهم، ضـد طبقـة الملاكـين العقاريين، الذين كانت تحميهم حكومة القيصر وتـدافع عـنهم وتدعمهم. ولم يكن بوسع الفلاحين أن يتحدوا في ذلك العهـد لأنهم كانوا غارقين في لجة الجهل إلى ما فوق رؤوسهم ولـم يكن أنصار ولا إخوان بين العمال المدن، ولكنهم كـانوا مـع ذلك يناضلون، كما يعرفون وكما كان بوسعهم. ومـا كـانوا ليخشون قط الاضطهادات الوحشية من جانب الحكومة، ومـا كان الذعر يدب في نفوسهم من جـراء العقوبـات وإطـلاق الرصاص؛ وكانوا لا يصدقون الكهنة الذين يبذلون قصـارى

جهدهم لتبيان أن الكتاب المقدس يؤيد القنانة وأن الله جعل منها أمرا مشروعا (هكذا على وجه الضبط كان يتكلم المطران فيلاريت في ذلك العهد!)؛ كان الفلاحون ينتفضون هنا وهناك، فاضطرت الحكومة إلى التراجع في آخر الأمر، خوفا من انتفاضة عامة يقوم بها الفلاحون جميعهم.

وألغيت القنانة، ولكنها لم تلغ تماما. فظل الفلاحون محرومين من الحقوق وفئة دنيا، تسحقها الضرائب، فئة سوداء تتخبط بين براثن العبودية الاقطاعية. ولذا لا يزال الفلاحون في هيجان، يتحركون ساعين وراء حرية كاملة، حقيقية. ولكن، بعد إلغاء القنانة، ظهر نضال طبقي جديد، هو نضال البروليتاريا ضد البرجوازية فقد تكاثرت الثروات، وبنيت العديد من الخطوط الحديدية والمصانع الضخمة، وغدت المدن أكثر ازدحاما بالسكان وأكثر رفاهية وثراء، غير أن عددا ضئيلا جدا من الناس كان يستأثر بهذه الثروات بينما الشعب يزداد فقرا وخرابا ويعاني المجاعة، ويمضي يشتغل عند آخرين بالأجرة. فشن عمال المدن نضالا جديدا، كبيرا، هو نضال جميع الفقراء ضد جميع الأغنياء. وهم، وقد احتشدوا في قلب الحزب الاشتراكي-الديموقراطي، يناضلون بعناد وثبات وبصفوف مرصوصة، متقدمين خطوة فخطوة، مستعدين للنضال النهائي الكبير، مطالبين بالحرية السياسية للشعب بأسره.

وأخيرا، فرغ صبر الفلاحين بدورهم. ففي ربيـع السـنة الماضية (١٩٠٢)، انتفض الفلاحون في مقـاطعتي بولتافـا وخاركوف وغيرهم من المقاطعـات. وهـاجموا الملاكـين العقاريين، واقتحمـوا مسـتودعتهم واقتسـموا ممتلكـاتهم، ووزعوا على الجياع الحبوب التي بذرها وحصدها الموجيك والتي استأثر بها الملاك العقاري، وطالبوا باقتسـام الأرض من جديد. ولم يبق بوسع الفلاحين تحمل الاضطهاد النـازل بهم والذي لا مثيل له، فأخذوا يسعون وراء مصير افضـل. فقرروا – وهم على صواب في قرارهم – أن من الافضـل لهم ان يموتوا في غمرة النضال ضد الطغاة من أن يهلكـوا من جراء الجوع، دون نضال. ولكن أحوال الفلاحين ---- ------- وحصدوها!). وقد أرسلت الحكومة القيصـرية الجيش ضدهم وكانت تعتبرهم أعداء، وانهـزم الفلاحـون. وأطلقت قوات الجيش النار على الفلاحين، وقتلت الكثيـرين منهم، وجلدت الكثيرين بالسـوط حتـى المـوت. وعـذبت الفلاحين كما لا يعذب الأتراك أبدا أعـدائهم، المسـيحيين. وكان رسل القيصر، الحكام، أشد الجميـع وحشـية، كـأنهم جلادون حقيقيون. كان الجنود يغتصـبون نسـاء الفلاحـين

وبناتهم. وبعد ذلك، أحيـل الفلاحـون أمـام محكمـة مـن الموظفين؛ فحكمت عليهم بأن يدفعوا ثمانيمائة ألـف روبـل للملاكين العقاريين. وفي هذه المحكمة، هذه المحكمة المخزية السرية، في محكمة التعذيب هذه، بلغ الأمر بالمشرفين عليها حد منع المحامين من التحدث عما فعله رسل القيصر، الحاكم اوبوانسكي وغيره من خدم القيصر، كيف جلـدوا الفلاحـين وعذبوهم.

كانت القضية التي ناضل الفلاحون فـي سـبيلها قضـية عادلة.

وستكرم الطبقة العاملة الروسية إلى الأبد ذكرى الشـهداء الذين أعدمهم خدم القيصر رميا بالرصاص وجلدوهم حتـى الموت. كان هؤلاء الشهداء يكافحون في سبيل حرية الشعب العامل وسعادته. لقد انهزم الفلاحون، ولكـنهم سينتفضـون أيضا وأيضا، ولن يدعوا الهزيمة الأولى تثبط من عزائمهم. ولذا فإن العمال الواعين سيبذلون كل جهودهم لكي يعـرف أكبر عدد من عمال المدن والأرياف ما هو نضال الفلاحـين ولكي يستعدوا في سبيل نضال جديد، أوفر حظا بـالتوفيق. كذلك فإن العمال الواعين سيسعون بجميع قواهم إلى مساعدة

الفلاحين على أن يدركوا جيدا لماذا سحقت انتفاضة الفلاحين الأولى (١٩٠٢) وما ينبغي القيام به لكي ينتصر الفلاحـون والعمال لا خدم القيصر.

لقد سحقت انتفاضة الفلاحين لأنها كانت انتفاضة قامـت بها جماهير جاهلة غير واعية، لأنهـا كانـت انتفاضـة لا مطالب سياسية لها، واضحة ودقيقة، اي دون مطلب تغييـر النظام السياسي. لقد سحقت انتفاضة الفلاحين، لأنها لم تهيأ. لقد سـحقت، لأن التحـالف بـين بروليتـاريي الاريـاف وبروليتاريي المدن لم يكن موجودا حينذاك. تلك هي الاسباب الثلاثة لهزيمة الفلاحين الاولى. فلكي تنجح الانتفاضة، ينبغي لها ان تقوم عن وعي وبعد تحضير؛ وينبغي ان تمتد وتشمل عموم روسيا بالتحالف مع عمال المـدن. ان كـل خطـوة يخطوها نضال العمال في المدن، وكل كتـاب اشـتراكي-ديموقراطي أو صحيفة اشتراكية-ديموقراطية وكل خطـاب يلقيه عامل مدرك امام بروليتاريي الارياف، كل ذلك يقربنـا من ساعة تجدد الانتفاضة وانتصارها.

لقد هب الفلاحون بصورة عفوية، لأنه لم يبق في وسعهم الاحتمال اكثر مما احتملوا، لأنهم ارادوا ألا يموتـوا دون ان ينسبوا ببنت شفة ودون يبدوا اية مقاومة. لقد عانى الفلاحون من النهب والظلم والعذاب ما حملهم علـى الايمـان لحظـة واحدة بما يشاع بصورة غامضة عن رحمة القيصـر، ومـا حملهم على الايمان بان كل انسان سليم التفكير يقر بان مـن العدل توزيع الحبوب على الجياع، على الذين اشتغلوا طوال حياتهم من اجل الآخرين، علـى الـذين بـذروا الحبـوب وحصدوها والذين يموتون الآن جوعا امام مستودعات حبوب "الأسياد". كان يبدوا ان الفلاحين قد نسوا ان خيرة الاراضي وان جميع المصانع وجميع المعامل هي في حوزة الاغنياء، في حوزة الملاكين العقاريين والبرجوازية، وذلـك بالضـبط لكي يشتغل الناس الجياع من اجلهم. لقـد نسـوا ان الكهنـة يعظون دفاعا عن طبقة الاغنياء، وان الكهنـة لا يقومـون وحدهم بهذه المهمة بل ان حكومة القيصر تهب أيضا بكل ما لديها من قطعان الموظفين والجنود دفاعا عن طبقة الاغنياء.

وهذا ما شاءت حكومة القيصر ان تذكر به الفلاحين. فقد بينت لهم باشد القساوة والوحشية ما هي سلطة الدولة ومـن تخدم وعمن تدافع.

وينبغي لنا ان نذكر الفلاحين بهذا الدرس مـرارا عديـدة فيدركون حينذاك دون عناء ضرورة تغيير النظام السياسـي، وضرورة الحرية السياسية. وحين يزداد على الـدوام عـدد الذين يدركون هذا الامر، وحين يتوصل كل فـلاح يعـرف القراءة والكتابة والتفكير إلى معرفة المطالب الرئيسية الثلاثة التي ينبغي الكفاح من اجلها قبل كل شيء، حينذاك لن تظـل انتفاضات الفلاحين غير واعية. اما هذه المطالب فهي التالية. المطلب الاول: عقد جمعية شعبية للنواب بغية تشكيل حكومة شعبية منتخبة غير اوتوقراطية في روسيا. المطلب الثـاني: الحرية للجميع ولكل فرد بطبع شتى انواع الكتب والصحف. المطلب الثالث: اعتراف القانون بالمساواة التامة في الحقوق بين الفلاحين وسائر الفئـات الاجتماعيـة وانشـاء اللجـان الفلاحية المنتخبة بغية الغاء كل عبودية اقطاعيـة بالدرجـة الاولى. تلك هي مطالب الاشتراكيين-الديموقراطيين الجذرية الاساسية، ولن يصعب على الفلاحين ان يفهموهـا الآن، ان يفهموا من اين ينبغي بدء النضال في سبيل حرية الشـعب. وحين يفهم الفلاحون هذه المطالب، سيفهمون أيضا انه ينبغي الاستعداد لنضال، سلفا، وطويلا، وبعناد وثبات وحزم، وانه لا ينبغي الاستعداد بصورة منفردة بل مـع عمـال المـدن الاشتراكيين-الديموقراطيين.

فليحشد كل عامل واع وكل فلاح مدرك حوله اكثر الرفاق تفهما وثقة وجرأة. وليبذل كل جهده ليوضح لهم مـا يريـده الاشتراكيون-الديموقراطيون، لكي يدرك الجميع اي نضـال ينبغي القيام به وما ينبغي المطالبة به. ليبدأ الاشـتراكيون-الديموقراطيون الواعون، شيئا فشـيئا، وبـاحتراس، ولكـن بعناد، ليبدأوا باطلاع الفلاحين على مذهبهم، بتوزيع الكتـب الاشتراكية-الديموقراطيـة علـيهم، بـالتعليق عليهـا فـي اجتماعات صغيرة تضم أهل ثقة.

غير أنه ينبغي عدم الاكتفاء بالكتب من أجـل توضـيح المذهب الاشتراكي-الديموقراطي؛ إنما ينبغي أيضا الافـادة من جميع الامثلة، من جميع حالات الاضطهاد والظلم التـي نراها تقع حولنا. المذهب الاشتراكي-الديموقراطي هو مذهب النضال ضد كل اضطهاد، ضد كل نهب، ضد كـل جـور. والاشتراكي-الديموقراطي الحقيقي هو من يعـرف أسـباب الاضطهاد ويناضل يوميا طوال حياته ضد كل حالـة مـن حالات الاضطهاد. ولكـن كيـف العمـل؟ ينبغـي علـى الاشتراكيين-الديموقراطيين الواعين أن يجتمعوا في مـدنهم وقراهم وقرروا بأنفسهم ما ينبغي القيام به من أجـل اسـداء أكثر ما يكون من الفائدة إلى مجمل الطبقة العاملة.

وعلى سبيل المثال، أورد حالة أو حـالتين. لنفتـرض أن أحد العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين عاد من المدينة إلـى قريته ليقضي فيها اجازته، أو أن أحد العمال الاشـتراكيين-الديموقراطيين جاء إلى قرية غير قريته. إن القرية، كذبابـة في شباك العنكبوت، أسيرة برمتها بين براثن الملاك المجاور لا تخرج من العبودية طوال حياتها ولا سبيل لها للـتخلص منها. فينبغي حالا اختيار أكثر الفلاحين جدا، وثقة وتفهمـا، ممن يسعون وراء العدالة ولا يتراجعـون أمـام أول كلـب بوليسي. ينبغي أن نوضح لهؤلاء الفلاحين منشأ هذه العبودية السوداء، وكيف خدع الملاكون العقاريون في لجان النـبلاء الفلاحين ونهبوهم، ينبغي أن نحدثهم عن قوة الأغنياء وعـن المساندة التي تسديها إليهم حكومة القيصر؛ ينبغي أن نطلعهم على مطالب العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين. وحين يدرك الفلاحون كل هذه الآلية البسيطة، ينبغي التفكير معا لمعرفـة ما إذا كان ثمة وسيلة للرد معا على هذا الملاك، ما إذا كـان ثمة وسيلة للفلاحين بأن يصوغوا مطالبهم الأولى الرئيسـية (على غرار عمال المدن الذين يقدمون مطـالبهم لأصـحاب المصانع). وإذا كانت قرية كبيرة أو عدة قرى خاضعة لهـذا

الملاك العقاري، فالأفضل الحصول على منشور من لجنـة اشتراكية-ديموقراطية قريبة بواسطة جماعة من أهل الثقـة. وينبغي على اللجنة الاشتراكية-الديموقراطية أن تقول في هذا المنشور، بوضوح، ومنذ البداية، أية عبودية يعانيها الفلاحون وما يطلبون بالدرجة الأولى (تخفيض بدل ايجـار الارض، تحديد أجرة العمل بصورة عادية، لا بنصـفها، فـي أثنـاء استئجار الشتاء(١٠)، تخفيف الملاحقات والمضـايقات مـن جراء الاضرار التي تسـببها الماشـية، وغيـر ذلـك مـن المطالب). وعن طريق هذا المنشور، يدرك جميع الفلاحـين الذين يعرفون القراءة خفايا الامور؛ ويوضـحونها بـدورهم للذين لا يعرفون القراءة. حينذاك يـدرك الفلاحـون جيـد الادراك ان الاشتراكيين-الديموقراطيين يقفون إلى جـانبهم، وانهم يشجبون كل اشكال النهب.

وحينذاك يدرك الفلاحون اية تخفيفات، مهما كانت طفيفة، – ولكنها تخفيفات على كل حال – يمكن الحصـول عليهـا فورا، من الدفعة الاولى، اذا ما ناضلوا بصفوف متراصـة. واية تحسينات كبيرة ينبغي الحصول عليها في مجمل الدولة اذا خاضوا نضالا كبيرا بالتحالف مع عمـال المـدن مـن

الاشتراكيين-الديموقراطيين. حينذاك يستعد الفلاحون اكثـر فأكثر في سبيل هذا النضال الكبير ويتعلمون الوسيلة لايجـاد أناس أهل للثقة، ويتعلمون كيف ينبغي لهم ان يـدافعوا معـا عن مطالبهم.

قد ينجحون من وقت إلى آخر في تنظيم اضراب، كما يفعل عمال المدن. ولا ريب في ان ذلك أصعب في الريف. ولكنـه ممكن احيانا، وقد رأينا في بلدان اخرى اضـرابات مظفـرة، مثلا، في زحمة الموسم، عندما يكـون الملاكـون العقـاريون والمزارعون الاغنياء بحاجة ماسة إلى الايدي العاملة. واذا كان الفلاحون الفقراء مهيئين للاضراب، اذا كان الجميع موافقين منذ زمن بعيد على المطالب العامة، واذا تم أيضاح هذه المطالـب في المناشير أو اذا تم التعليـق عليهـا بصـورة جيـدة فـي الاجتماعات، فان الجميع سيصـمدون بصـفوف متراصـة، ويضطر الملاك للتراجع أو على الاقل للحد قليلا مـن نهبـه وسرقته. واذا وقع الاضراب في زحمة الموسم واشترك فيـه الجميع بصورة منظمة، فان الملاك العقاري وحتى ولاة الشأن وجيشهم لن يجدوا بسهولة وسيلة لمعالجة الاضراب: فالوقـت يمضي، ومع الوقت يحل الخراب بالملاك، فيخفف من تصـلبه وتشدده. يقينا ان اضراب الفلاحين امر جديد.

والأمر الجديد قد لا ينجح في البدء. في البدء، كان عمال المدن، هم أيضا، لا يعرفون كيف يناضلون معـا بصـورة منظمة، ولا أية مطالب يصوغونها معا. كـانوا يحطمـون الآلات وينهبون المصنع. أما الآن، فإن العمال يعرفون كيف يناضلون معا بصورة منظمة. في البدء ينبغي علينا أن نتعلم كيف نقوم بالأمر الجديد. إن العمال يدركون اليـوم أنهـم لا يستطيعون الحصول، من الدفعة الأولى، إلا على التخفيفات، إذا ما هبوا معا بصورة منظمة. وخلال هذه الفتـرة، يعتـاد الشعب على الرد بصورة مشتركة، ويسـتعد أكثـر فـأكثر للمعركة الكبيرة، الحاسمة.

كذلك سيتعلم الفلاحون كيف ينبغي الرد على أشد النهابين وحشية، وكيف تنبغي المطالبة بالتخفيفـات معـا وبصـورة منظمة، وكيف ينبغي الاستعداد شيئا فشيئا، وبحزم وثبـات، وفي كل مكان، للمعركة الكبيرة في سبيل الحرية. إن عـدد العمال والفلاحين والواعين سيزداد بلا انقطـاع، واتحـادات الاشتراكيين-الديموقراطيين الريفيين ستزداد قوة يومـا بعـد يوم، وكل مثال على العبودية الاقطاعية، على أعمال النهـب والسلب التي يرتكبها الكهنة، على أعمال الوحشية البوليسـية

والاضطهاد التي يقترفها ولاة الشأن، سيفتح عيون الشـعب أكثر فأكثر، ويعوده على الصمود الدائب وكذلك على التفكير بضرورة فرض تغيير النظام السياسي بالقوة.

لقد سبق لنا أن قلنا منذ مطلع هذا الكـراس أن الشـعب العامل في المدينة ينزل الآن إلى الشوارع وإلـى السـاحات لكي يطالب بالحرية علنا، على رؤوس الاشهاد، وقد سـجل على راياته وأعلن: "فلتسقط الاوتوقراطية!". وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيهب فيه الشعب العامل في المدينة، لا ليتظـاهر في الشوارع هاتفا وحسب، بل ليخوض المعركـة الكبيـرة، الحاسمة، وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيهتف فيـه العمـال كرجل واحد: "إما أن نموت في غمرة النضال وإما ان نظفر بالحرية!"؛ وليس بعيد ذلك اليوم الذي سيهب فيه الألوف من المكافحين الجدد، وهم أشد حزما وعزما، مكان المئات الذين استشهدوا في غمرة النضال. وحينـذاك سـيهب الفلاحـون بدورهم في عموم روسيا إلى مساعدة عمـال المـدن، إلـى الكفاح حتى النهاية في سبيل حرية الفلاحين والعمال.

ولن تكون هناك قطعان قيصرية تستطيع الصمود حينذاك. وسينتصر الشعب العامل، وتسير الطبقة العاملة في طريـق واسعة رحبة نحو تحرير جميع الشغيلة من كـل اضـطهاد؛ وستفيد الطبقة العاملة من الحرية لكي تخوض النضال مـن أجل الاشتراكية!